تاريخ أغرب من الخيال

محمد عبد العليم



دار اكتب للنشر والتوزيع



تاريخ أغرب من الخيال

| 1 |

تاريخ أغرب من الخيال

تاريخ أغرب من الخيال

محمد عبد العليه

الطبعة الأولى ، القاهرة 2019 م

غلاف : أحمد فرج

تدقيق لغوي : خالد رجب عواد

رقم الإيداع :2017/7513

I.S.B.N: 978-977-488-521-1



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01111947957

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

مقدمة

تاريخ البشرية المُدوَّن يرجع الى بداية عصر الكتابة والتي كان للمصريين سبق ابتكارها.. إن أقدم النصوص الموجودة تحت أيدينا يرجع تاريخها إلى 3200 قبل الميلاد أي منذ ما يزيد على 5200 سنة.

ما قبل ذلك لا يمكن اعتباره تاريخًا موثقًا بقدر ما هو استنتاجات وتكهنات قائمة على استنطاق البقايا التي يعثر عليها؛ لذا سيقتصر عملنا في هذه الدراسات على فترات التاريخ الموثق.

إن ما سأقوم بتقديمه في هذه الدراسات ليست دراسة أكاديمية بالمعنى المعروف بل هي نظرة عامة على بعض أحداث ووقائع تاريخية مدونة ومسجلة ولكنها غير مفهومة!!

وقائع أَثرت في التاريخ تأثيرًا عظيمًا وتعتبر نقاطًا وعلامات فارقة في تاريخنا الإنساني. وبالرغم من ذلك فلا يوجد تفسير مقنع لها.. هي أقرب للخيال منها للواقع.

وهدفي من وراء هذه الدراسات هي خدمة كتاب الرواية والقصة بمختلف اتجاهاتهم بمادة ثرية يمكنها أن تفتح لهم آفاقًا خيالية تعتمد اعتمادًا راسخًا على الحقائق التاريخية.

فيمكن لكاتب الخيال العلمي أو الخيال الأسطوري أو ما وراء الطبيعة أو حتى كتاب الواقعية أن يجدوا في هذه الدراسات ضالتهم المنشودة.

إن الرواية التاريخية لها بريق لا يُقاوم خصوصًا إذا كانت تحوي الغموض والخيال ويزداد البريق أكثر إذا ما كانت الرواية تعتمد على الحقائق الموثقة.. وروايات دان براون هي أصدق مثال على ذلك.

محمد عبد العليم

***

قمبيز





إنه عام 525 قبل الميلاد

نهاية عصر الأسرة الــ 26 في مصر، الملك إبسماتيك الثالث آخر ملوكها، ورغم أن اسمه يتشابه مع اسم جده الأكبر ومؤسس الأسرة إبسماتيك الأول فإنه شتان ما بين الرجلين، فالأول استطاع توحيد البلاد تحت سلطانه وطرد الآشوريين وأعاد مجد الدولة المصرية وحكمَ من مدينته (ساو) أو (سايس) – صان الحجر حاليًا – بادئًا بذلك العصر الذي عُرف بالعهد الصاوي.

أما إبسماتيك الثالث فلم يمهله الوقت حتى يُثبت جدارته بهذا الاسم، فقد تُوفِّيَ والده (أحمس الثاني) وتولى هو الحكم في نفس الوقت الذي كانت الجيوش الفارسية تزحف من فلسطين نحو مصر بقيادة ملك الفرس الشهير قمبيز.

***

قمبيز في مصر:

هو قمبيز بن قورش العظيم أحد أشهر ملوك الدولة الأخمينية الفارسية تولى الحكم عام 529 قبل الميلاد يعرف في التاريخ بالملك المجنون، قتلَ أخاه ثم أخته وتزوج أختًا له أخرى مخالفًا بذلك تعاليم دينه (الزرادشتية) ثم اتجه بنظره إلى مصر التي جعل فتحها وضمها إلى الإمبراطورية الفارسية هدفًا مقدسًا.

احتلّ الفرس مصر وأضحت الشطربية (الولاية) السادسة في الإمبراطورية الفارسية كانت مصر من الأهمية بمكان حتى أن قمبيز بنفسه سار على رأس الجيش الذي احتلها.. دخل قمبيز قصر (أحمس الثاني)، وأمر في الحال بأن يحضر جسم أحمس الميت من ضريحه، وعندما تم له ذلك أعطى الأوامر بجلده ونتف شعره ووخزه وانتهاك حرمته بكل طريقة ممكنة، ولكنهم عندما أخذ منهم التعب كل مأخذ من هذا العمل (لأنه لما كان الجسم محنطًا فقد قاوم ولم يمزق إربًا إربًا) أمر قمبيز بحرقه، وبذلك أمرَ بما هو كُفر؛ لأن الفرس كانوا يعتبرون النار إلهًا، ومن ثم فإن حرق الميت لم يكن بحال مسموحًا به في كلتا الأمتين (الفارسية والمصرية)، فلم يكن مسموحًا عند الفرس للسبب السابق وذلك لأنهم يقولون إنه ليس من الحق أن نقرب لإله جسم إنسان ميت، أما من جهة المصريين فقد كانت النار تعدُّ حيوانًا وأنها تلتهم كل شيء يمكن أن تصل إليه، وعندما تتخم

بالطعام تخبو بما التهمته، وعلى ذلك كان قانونهم ألا يُعطى بأية حال من الأحوال جسم ميت لحيوانات مفترسة ولهذا السبب كانوا يحنطونها (حتى لا ترقد وتأكلها الديدان).

كانت هذه الفعلة هي أول الغيث حيث ارتكب قمبيز والفرس بمنف أفعالًا تدلُّ على استخفافه بديانة المصريين، كانت هذه الأفعال دافعه لإيغار قلوب المصريين وبخاصة الكهنة الذين كان لهم نصيب الأسد من هذا الاضهاد.

ما إن استقر له المقام بمنف حتى توجه ببصره نحو الجنوب نحو النوبة وبلاد الكوشيين، حيث عائلة نباتا الحاكمة في النوبة.

خرج قمبيز على رأس حملة ضخمة قاصدًا طيبة العاصمة القديمة لمصر قبل أن يستأنف رحلته إلى النوبة.

وهنا بدأ كهنة أمون يذيعون نبوءةً جديدةً أوحى بها إلى مهبط الوحي بواحة سيوة.

***

واحة سيوة:

هي آخر الواحات المصرية بالصحراء الغربية قبل الحدود الليبية، يقع بها معبد أمون الشهير حيث كانت لسيوة مكانة مقدسة عند المصريين كمهبط للوحي ومعقل للتنبؤات ذائعة الشهرة التي يوحي بها أمون إلى كهنته بمعبده بسيوة.. كانت سيوة بالنسبة للمصريين مثل دلفي بالنسبة للإغريق.

وكانت أحدث هذه النبوءات نبوءة أثارت غيظ قمبيز.. كانت النبوءة تقول إن جيش قمبيز الذي يقصد بلاد كوش والنوبة سيُهزم ويعود قمبيز مدحورًا.

والغريب أن نبوءة تحققت.. هزم الجيش الفارسي هزيمة قاسية وعاد قمبيز إلى منف يجرُّ خيبته ودخل المدينة ليجدها تغرق في الزينات والأفراح.

جُنَّ جُنون قمبيز واعتقد أن المصريين يحتفلون بفشله وخيبته في الحملة ولكن الكهنة تقدموا إليه وشرحوا له أن هذا احتفالٌ بولادة العجل (أبيس) والذي يظهر في أزمان متباعدة، ويتجسد كعجل ذي مواصفات خاصة، وهنا أمرَ قمبيز أن يأتوا له بالعجل أبيس.

وعندما أحضر الكهنة العجل (أبيس) استلّ قمبيز خنجره كإنسان يكاد يكون قد خرج عن حواسِّه، قاصدًا بذلك بقر بطن أبيس، ولكنه ضربه في فخذه، وبعد ذلك أخذته نوبة ضحك قائلًا للكهنة (أنتم أيها الأغبياء، هل هناك آلهة مثل هذه من دم ولحم وتحس بالفولاذ؟ حقًّا إن هذا إله جدير بالمصريين، ولكنكم لن تهزؤوا مني) وبعد أن تكلم هكذا أمر رجاله بتعذيب الكهنة وقتل كل المصريين الذين كانوا يجدونهم (في عيد أبيس) على يد هؤلاء الذين كان هذا عملهم، وعلى ذلك فضّ عيد المصريين وعوقب الكهنة، ولكن أبيس الذي جُرح في فخذه خارت قواه في المعبد، وفي النهاية مات من الجرح ودفنه الكهنة دون علم (قمبيز).

وهنا شعر قمبيز بالغضب واستعاد نبوءة الشؤم التي اعتبرها سببًا في هزيمته القاسية لذا سيَّر جيشًا ضخمًا قاصدًا واحة سيوة مُحمَّلًا بمهمة واحدة.. تدمير معبد أمون وقتل كهنته.

يذكر هيرودوت أن هذا الجيش كان **250000** مقاتل، ولكن هذا الرقم مبالغ فيه حيث أجمعَ معظمُ العلماء على أن هذا الجيش كان في حدود **50000** مقاتل.

تحرَّك الجيش العرمرم مخترقًا الصحراء الغربية، وقصد سيوة خمسون ألف مقاتل بعُدهم وعتادهم وخيولهم، وبلغت قلوب المصريين الحناجر، وانتظروا الأخبار بدمار معبد معبودهم الأكبر مؤذنًا بنهاية عصر الديانة ككل.

نترك جيش قمبيز يقطع الصحراء ونعود مرة أخرى إلى منف حيث قمبيز الغاضب والذي استمر في هوايته بالسخرية من المصريين وديانتهم.

ارتكب (قمبيز) أعمالًا جنونية مع الفرس وحلفائه أثناء مكوثه في منف، إذ فتح المدافن القديمة وفحص الأجسام الميتة، وكذلك دخل المعابد واحتقر التماثيل، وكذلك دخل معبد (كابيري) وهو محرم على كل فرد دخوله إلا للكهنة وحرق التماثيل بعد أن مثل بها بطرق مختلفة، وهذه كلها مثل تمثال فلكان ويقولون إنها أولاد هذا الأخير.

كان قد انتهى من منف واستعدّ للتحرُّك شمالًا إلى (سايس) عاصمة إبسماتيك الأول ليفعل بها وبمعبوداتها ما فعله بمنف.

كانت فرق من الجيش الفارسي قد عسكرت بالفعل في المدينة عند دخول الفرس مصر، واتخذوا من معبد (نيت) مقرًّا وملجأ لهم ممَّا أوغر قلوب أهل سايس على هؤلاء الكفار الذين دنسوا معبد آلهتهم وملؤه بأرجاسهم.

***

واستعد قمبيز للارتحال إلى سايس.

وهنا يتوقف الزمن.

دعونا نأخذ صوره ثابتة كما لو كنا ننظر إلى مصر من أعلى لنرى كيف تسير الأمور.

منف.. حيث الملك المجنون الكاره بكل كيانه لمعتقدات المصريين والذي كرس حياته لتدمير ديانتهم والتنكيل بمعبوداهم.

الصحراء الغربية قرب سيوة.. جيش جرار من خمسين ألف جندي يقصد معبد أمون حيث مركز الوحي والنبوءات لتدميره وتسويته بالأرض.

سايس.. عاصمة العهد الصاوي حيث استقر الفرس باستهزاء في معبد نيت معبودة سايس مستعدين لاستقبال ملكهم الذي يستعد للارتحال إليها ليمرحوا معه بتدمير معابدها كما فعلوا بمنف.

حتى هذه اللحظة يجري التتابُع الروتيني للأحداث والأمور نحو هدفه المَحتوم.

ولكن فجأ يدخل إلى الصورة شخصٌ ليقلب الموازين ويتغير المسار 180 درجة في حدث يعد لغزًا من ألغاز التاريخ القديم التي حتى الآن لا يجد لها أحد تفسيرًا مقنعًا.

تُرى مَن هذا الشخص؟

***

وزاحر رسن:

كاهن شاب من مدينة (سايس) يتبوأ بعض المناصب المدنية في عهد أحمس الثاني كما أنه كان طبيبًا بارعًا.

لا يُعرف عنه الكثير وعائلته في سايس ليست من الأسماء المرموقة؛ لذا فقد كان شابًّا عاديًّا، وبالرغم من ذلك نجده فجأة في التاريخ كواحد من حاشية قمبيز، بل الطبيب الخاص له، مما حدا ببعض المؤرخين اعتباره واحدًا من المتعاونين مع الفرس قبل دخولهم مصر، ولكن هذا أمر لا يوجد عليه دليل.

دعونا نقرأ ما كُتب على تمثاله المحفوظ الآن بمتحف الفاتيكان لنعرف ماذا فعل وزاحر رسن الذي كما لو كان يقول لنا بغموض.

يا (أوزير) يا رب الأبدية إن (وزاحر – رسن) يضع ذراعيه خلفك لحمايتك، فليت روحك تأمر بأن يعمل له كل الأشياء النافعة كما عملت حماية (وزاحر راسن) خلف محاريب الآلهة أبديًّا.

ما الذي فعلته يا وزاحر راسن لحماية الديانة المصرية؟

لا ندري

ولكن ما نعلمه يقينًا أن الجيش الجرار الذي قصد سيوة لم يصل إلى هدفه، ولم يعد مرةً أخرى بل حتى لم يرجع واحد منه ليصف ما حدث للجيش.. اختفى.. هكذا كانتقالك من السطر السابق إلى السطر اللاحق.. اختفى دون أثر.

وضعت بعض التفسيرات لمحاولة تفسير اختفاء جيش بهذا العدد بكامل عُدته وعتاده، ولكن أكثر هذه الفروض شُهرةً وقبولًا لدى العلماء أن عاصفة رملية قوية قد هبَّت على الجيش فطمرته تحت الرمال.

ولكن يبدو هذا التفسير بعيدًا، إذ إن الجيش كان يصطحب معه عددًا كبيرًا من الأدلّاء الليبيين المتمرسين على طبيعة الصحراء واستشعار العواصف وتفاديها قبل وقوعها.. وأيضًا ما قوة هذه العاصفة التي تطمر جيشًا بهذه الضخامة دون حتى أن يفلت منها واحد فقط ليصف ما حدث.

لا ندري

ولكن الحقيقة الواقعة أن الجيش اختفى بلا أثر حتى يومنا هذا.

نعود مرة أخرى إلى سايس التي وصلها قمبيز بصحبة طبيبه الخاص وزاحر رسن، ويدخل معبد نيت.

بدلًا من أصِف لكم ما فعله دعونا نقرأ ما كتبه وزاحر راسن عن هذه الواقعة بنفسه.

(المقرب من آلهة سايس رئيس الأطباء وزاحر رسن يقول.. لقد ذهب ملك الوجه القبلي والوجه البحري قمبيز إلى سايس ودخل بنفسه في معبد الآلهة نيت وسجد بخشوع كبير أمام جلالتها كما فعل كل ملك من قبل

وقرب قربات عظيمة من كل شيء طيب للإلهة نيت العظيمة أم الإله رع ولكل العظام الذين في سايس كما فعل كل ملك مُحسن).

ويكمل وزاحر رسن شارحًا سببَ فعل قمبيز لهذا قائلًا:

(وقد عمل جلالته ذلك لأني جعلت جلالته يعرف عظمة جلالتها (أي نيت) ويعي جيدًا ما تستطيعه أم الإله (رع) نفسه).

ما معنى هذا الكلام؟

كيف تحوّل موقف قمبيز هكذا من النقيض إلى النقيض.. الذي كان بالأمس يفحص جثث الموتى وينتهك حُرمة المعابد، ويقتل الكهنة ويسرق التماثيل ما بين ليلةٍ وضحاها نجده ساجدًا مُتبتلًا في محراب آلهة المصريين.

وهنا يتوقف الزمن مرة أخرى.

دعونا كالمرة السابقة نلتقط صورة ثابتة من أعلى لمصر وهيا نرَ ما فيها.

منف.. ذات المعابد المُهدَّمة والكهنة المقتولين.. إن قمبيز لن يضايقهم بعد اليوم، وسيسمح بطيب خاطر بتجديد ما انهدمَ بل سيرسل هدية نفيسة إلى معبد أبيس تابوتًا فاخرًا مُرصَّعًا ليدفن فيه جسد أبيس.

الصحراء الغربية قُرب سيوة.. لا شيء، لا أثر للجيش العرمرم، لا شيء، مجرد صحراء مترامية الأطراف وفي سيوة نفسها معبد أمون سليم لم يُمس.

سايس.. بطلب من وزاحر راسن أمرَ قمبيز بطرد الجنود المقيمين بمعبد نيت إلى خارج أسوار المعبد وهدم خيامهم، وإلقاء أمتعته خارجًا، وأكرم قمبيز معابد الآلهة، وأهدى إليها القرابين والعطايا الجزيلة.

والآن.. ضع الصورتين بجوار بعضهما البعض واستخرج الاختلافات.

يبقى أن تعرف أن قمبيز منذ هذه اللحظة أعلن نفسه فرعونًا حسب التقاليد المصرية مؤسسًا الأسرة الـ 27 ولقّب نفسه (مستيو رع) أي المُتناسل من رع، وهو اللقب الذي أطلقه عليه وزاحر راسن.

في عام 522 قبل الميلاد غادر قمبيز مصر متجهًا إلى سوريا لإخضاع أحد الولاة المتمردين.. ولكنه مات في الطريق ويقول بعض العلماء إن قمبيز هو من قتل نفسه.

ظلت بعده مصر تحت السيادة الفارسية قرابة 140 سنة، ولم يحاول أيٌّ من الملوك التاليين أن يقترب من معابد المصريين أو مقدساتهم على العكس نجد ملوكًا مثل (داريوس) يتقرب لآلهة المصريين وينشئ المعابد، ويخلع الخلع النفيسة على الكهنة وكأنهم يتواصون على ذلك، متذكرين ما حل بقمبيز وجيشه في مصر.

***

والآن بعد قراءة هذه المعلومات السابقة فلا بد أن هناك علامات استفهام كبيرة تلوح فوق هذه الدراسة أسئلة تظل بلا إجابة.

ما سِرُّ كراهية قمبيز الشديدة لآلهة المصريين؟

ما سر نبوءة هزيمة جيش قمبيز ببلاد النوبة والتي كانت ضربًا من الخيال لما هو معزوف عن جيش الإمبراطورية الفارسية من قوةٍ وإعداد حسنٍ وتنظيم لا يستطيع النوبيون مجابهته؟

ما سِرُّ اختفاء جيشٍ من خمسين ألف مقاتل بعتادهم وخيولهم وأدلائهم دون أثر أو دليل؟

ما سِرُّ التحول العجيب في موقف قمبيز من الكُره الشديد والعداء الراسخ لآلهة المصريين لنراه بعدها بأيام قلائل خاشعًا ساجدًا مُتبتلًا في محراب (نيت)؟

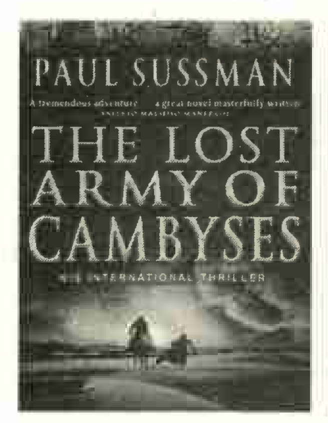
ما سِرُّ وزاحر راسن طبيب قمبيز الخاص الذي كان السبب في تبُّدل حاله من النقيض إلى النقيض؟

ما سِرُّ كلماته الغامضة الباقية لنا على تمثاله بمتحف الفاتيكان والتي يتحدث فيها عن أنه جعل قمبيز يعي جيدًا قوة الآلهة وما تستطيع أن تفعله.

هذه ستة أسئلة لستة ألغاز لا يوجد لها إجابة منطقية تبقى لغزًا من ألغاز التاريخ ونقطة فارقة في تاريخ مصر على وجه الخصوص.. حيث استمرت الديانة المصرية بعد هذه الواقعة مستمرة في العصور اللاحقة في العهود البطلمية والرومانية وحتى بعد دخول المسيحية مصر ظلت الديانة المصرية تقاوم وتحاول البقاء بجوار المسيحية على قدم المساواة حتى الفتح الإسلامي لمصر والذي أنهى والى الأبد عصر الديانة المصرية القديمة.

لقد استمرت الديانة المصرية بعد هذه الوقائع لأكثر من ألف عام رغم أن قمبيز كان قد عقد النية على إنهائها في وقته.





يمكن لكتاب الرواية والقصة أن يجدوا في هذه الدراسة ما يصلح مادةً لأعمال تناقش وتحلل هذه الألغاز مطلقين لخيالهم العنان لمحاولة إيجاد أجوبة.. يمكن لكاتب الملاحم الأسطورية أن يتخيل الإجابة بشكل، وكاتب الخيال العلمي أن يراها بشكل، حتى كتاب الواقعية ربما يجدون حلولًا واقعة لها.

ولكنها تبقى في النهاية مادة ثرية يمكن أن تفيد الكاتب أيًا كان توجهه الأدبي.

يتبقى في النهاية أن نشير إلى أن أحد الكتاب العالميين وهو (بول سوسمان) له رواية مستوحاة من أحد هذه الألغاز عن جيش قمبيز المفقود.

بيري ريس



في كتابه الشهير (الذين هبطوا من السماء) يقول الأستاذ أنيس منصور:

(في يوليو سنة 1957 عثروا في قصر توبكابو بإسطنبول على خرائط قديمة كان يملكها القبطان ((بيري ريس)) الذي كان يعمل قائدًا للأسطول العثماني سنة 1550 والذي قتله السلطان سليم الثاني).

ثم يستطرد الأستاذ أنيس منصور في وصف تلك الخرائط وما فيها من عجائب، حيث صورت تلك الخرائط سواحل القارة الأمريكية بدقةٍ عجيبة كما صورت القارة المتجمدة الجنوبية، وكذلك جرين لاند في زمن لم يكن أحد يعرف شيئًا عن هذا الأمور.

لكن طبعًا وكعادة الأستاذ أنيس في كتابه المشهور فهو يُرجِع كل ظاهرة أو أمر غير مفهوم في التاريخ إلى نظرية مخلوقات الكواكب الأخرى التي تتعاهدنا بالزيارة بين الفينة والأخرى، مُتابعًا في ذلك كاتبًا آخر نقل عنه كتابه حذو القذة بالقذة، وأقصد بهذا الكاتب الأمريكي (أريش فو دانكن) في كتابه (في عربات الآلهة).

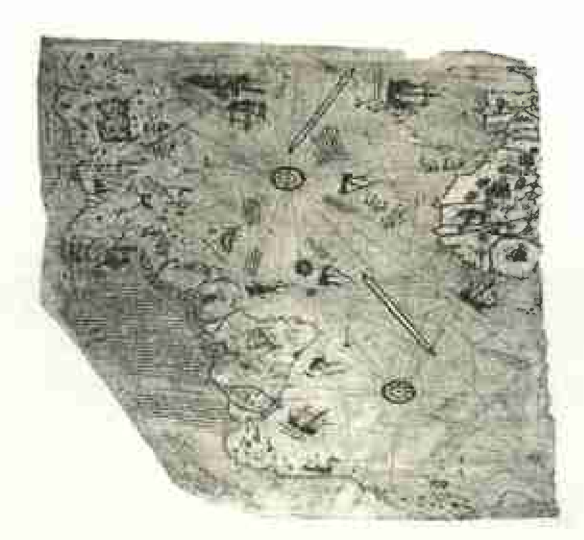
فما هي يا ترى حكاية خرائط بيري ريس؟ وهل هي بالفعل تستحق شهرتها؟ ويا ترى ما تفسير وجود مثل هذه الخريطة في زمن لم يكن الساحل الأمريكي قد استكشف بعد؟

***

بيري ريس

اسمه محيي الدين بيري بن حاج محمد، بحار عثماني مشهور، تربَّى على الملاحة والبحرية على يد عمه الذي كان قائدًا للأسطول العثماني كمال ريس، وشارك عمه في حروب الأسطول العثماني ضد أساطيل البندقية وجنوة، ثم عمل تحت قيادة قائدٍ فذٍّ آخر هو خير الدين بربروسا، أحد أشهر قادة البحرية العثمانية في تاريخها، ثم بعده تولى هو قيادة الأسطول العثماني.. عُرف بيري ببراعته كونه قُبطانًا لا يُشقُّ له غُبار، كما كان رسام خرائط فذًّا ما زالت خرائطه محل جدل ودراسة في معظم المراكز البحثية في العالم، وله مُؤلَّف شهير في الملاحة يعتبر أهمَّ مُؤلَّف في عصره وهو كتاب (بحرية).

من هذا التمهيد السابق أصبح القارئ متشوقًا لرؤية هذه الخريطة التي تعتب لغزًا تاريخيًا عصيًّا على الحل.. وهاكم هي الخريطة.



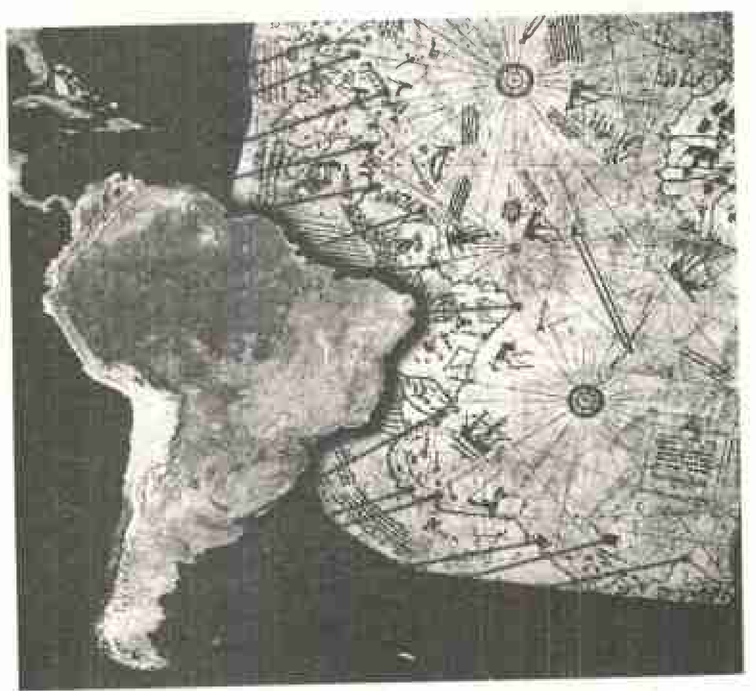
لأول وهلة سيتخيل القارئ أنه قد خُدع أو أن هذه خريطة مخالفة للموصوفة سابقًا.. والقارئ معذور لأنه غير متعوِّد هذا النمط الغريب في رسم الخرائط مقارنةً بما تعودناه من خرائط واضحة سهلة الفهم للعامة والخاصة؛ لذا فسأقوم بتوضيح الخريطة.

نرى في الجزء الأيمن من الخريطة جزءاً من القارة الأفريقية، الجزء الغربي منها كما نرى مضيق جبل طارق وشبه القارة الإيبيرية (إسبانيا).

في الوسط المحيط الأطلنطي والمعروف عند العرب ببحر الظلمات ورسم فيها بيري خطوطًا تدلُّ على المسارات الملاحية، كما رسم بعض السفن الإسبانية والبرتغالية التي خاضت غمار المحيط وإلى أين وصلت في رحلاتها.

في اليسار سواحل أمريكا الجنوبية وجزء من أمريكا الوسطى وجزر الكاريبي.

وللتوضيح أكثر انظر إلى الصورة القادمة لترى مدى توافُق وصف سواحل أمريكا الجنوبية مقارنةً بأحدث الخرائط الملتقطة بالأقمار الصناعية.



الخريطة تم رسمها في عام **1513** أي بعد سنوات قلائل من الاكتشاف الأول لأمريكا على يد كريستوفر كولومبوس في عام **1492**.

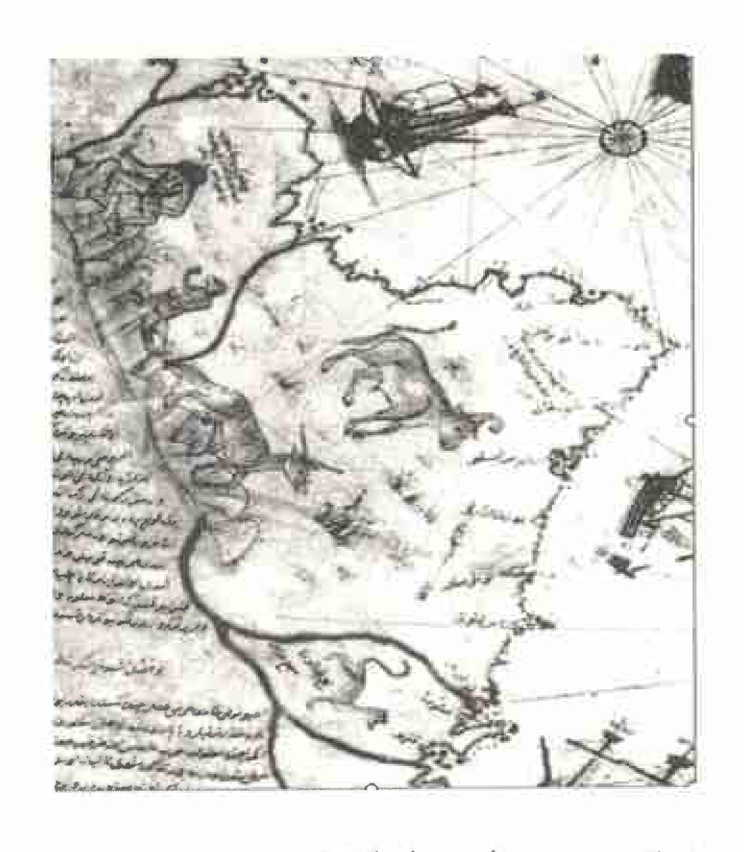
وهنا تبرز نقطة مهمة – أن كريستوفر كولومبوس مات عام **1506** وحتى لحظة موته لم يكن يعرف أنه قد اكتشف أمريكا! فلقد وصل إلى

بعض جزر الأنتيل، وعاد وهو يظن أنه قد وصل إلى الهند عن طريق الإبحار غربًا وحتى اليوم تسمى تلك الجزر بجزر الهند الغربية نسبةً إلى اعتقاد كولومبوس الخاطئ.. فحتى لحظة موته لم يكن يعرف أنه وصل إلى أرضٍ جديدة.. ولم يُعرف هذا إلا بعد رحلات الملاح الإيطالي (أمريكو فيسبوتشي) الذي نزل البرازيل وسمى موضع نزوله نهر يناير لأنه كان وقت نزوله الذي يُنطق باللغة البرتغالية (ريو دي جانيرو) وحتى وقت رسم خريطة بيري ريس لم يكن الساحل الأمريكي قد استكشف بكامله.

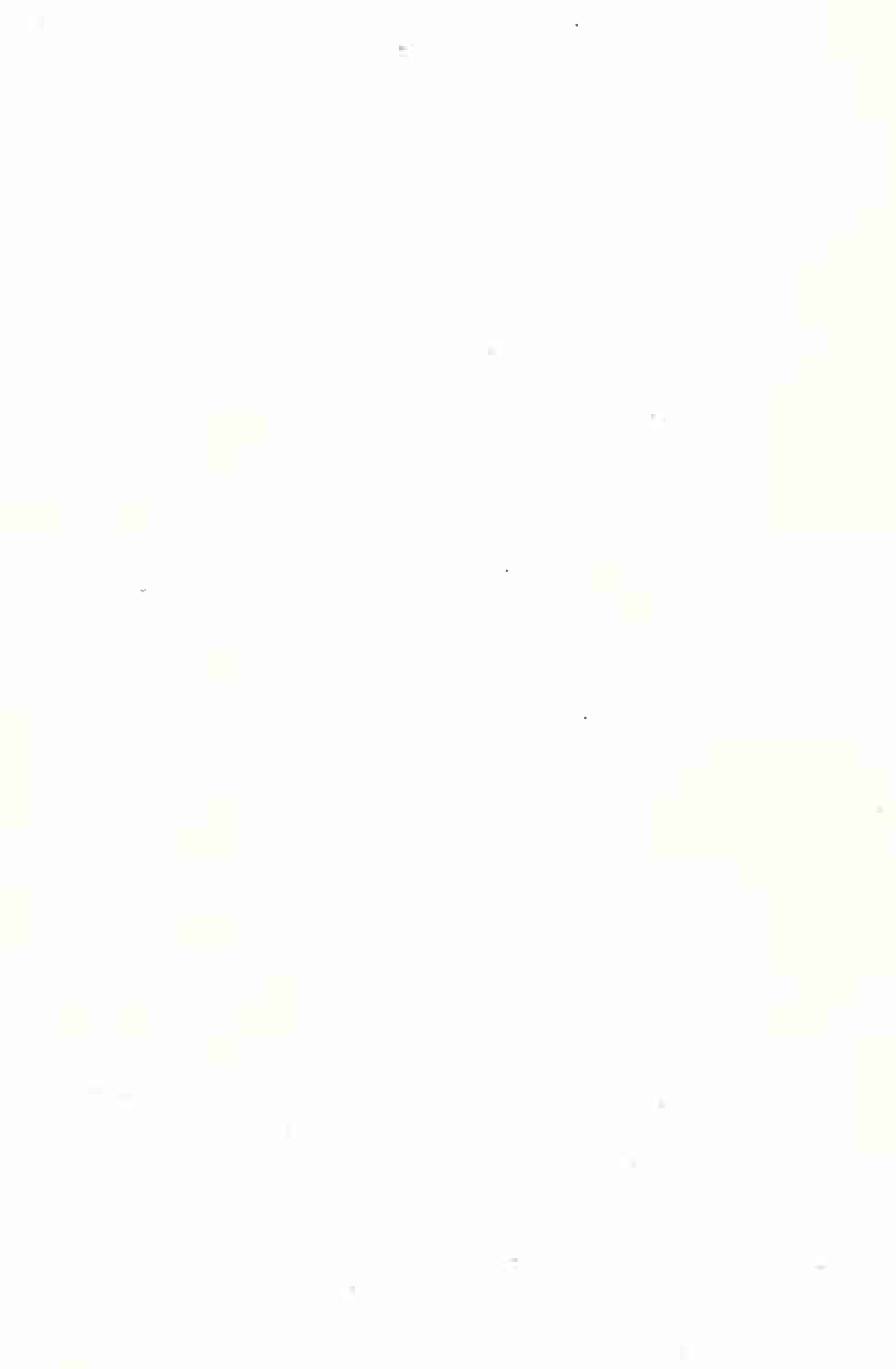
لذا كانت خريطة بيري ريس تعد في الأوساط العلمية لغزًا فكيف لبيري ريس أن يعرف تفاصيل الساحل الأمريكي بدقة كبيرةٍ جدًا مقارنة بالطبيعة في وقت كانت الرحلات في بدايتها إلى الشواطئ الجديدة محاولةً استكشافها؟

ورغم غرابة هذه الحقيقة فإنها ليست اللغز الوحيد في خريطة بيري ريس، فالخريطة تمتلئ بالألغاز، فمثلًا لم يكتفِ بيري فقط برسم السواحل والجزر بالقرب من أمريكا، بل رسم أيضًا تضاريس القارة الداخلية فبين مواضع الأنهار ومصباتها وبين بعض المناطق العشبية والجبلية.. بل الأغرب أنه رسم الحياة الحيوانية والإنسانية في القارة.

ففي خريطته نراه يرسم بعض الحيوانات التي تحيا في القارة في بيئتها التي تحيا بها كما رسم إنسانًا شبه عارٍ مع ملوحظةٍ منه أن البشر في هذه الأرض عراة الأجسام حُمر البشرة.



في كل جزء من الأرض الأمريكية كان بيري يرسم الحياة البرية الموجودة بها.







كريستوفر كولومبوس

وهنا لا نملك إلا التعجب من بنود هذه الاتفاقية التي من المفترض أنها عن حملةٍ علمية استكشافيه لاستكشاف المجهول.. لكن لو قرأت ما بين سطورها جيدًا لتيقنت تمامًا أن فرناندوا وإيزابيلا لم يكونا يلقيان بأموالهما إلى البحر سدًى، بل هما على يقين تامٍّ أن هناك في مكان ما وراء هذا البحر توجد أراضٍ شاسعةٍ مليئةٍ بالثروات.

ولنا أن نتساءل: من أين تأتي لهم هذا اليقين؟

الإجابة عن هذا التساؤل تتطلب منا أن نرجع بالزمن إلى ستة قرون قبل هذا العصر، وبالتحديد في عام 889 ميلادية، في هذا التاريخ يذكر المؤرخ العربي المسعودي في كتابه (مروج الذهب) أن بحارًا عربيًا اسمه الخشخاش بن سعيد بن الأسود القرطبي أبحر من ميناء دلبا (بالوس) – وهو بالمناسبة نفس الميناء الذي أبحر منه كولومبوس بعد ذلك بستة قرون – وأنه عبر المحيط الأطلسي، ووصل إلى أرض مجهولة، وعاد إلى الأندلس

محملًا بالكنوز، وحكى أنه وجد في هذه الأرض بشرًا.. ويبدو أن كولومبوس كان يسير على خُطى الخشخاش.

وجدير بالذكر أن المسعودي عندما رسم خريطة للعالم رسمَ أرضًا كبيرة في بحر الظلمات، وقال إنها الأرض المجهولة!

بمعنى أن العلماء الجغرافيين العرب في القرن التاسع الميلادي كانوا يعرفون أن هناك أرضًا بعد بحر الظلمات في الوقت الذي كان العلماء الأوربيون يعتقدون أن بحر الظلمات هو آخر العالم ولا شيء بعده، وخرائطهم لا تذكر شيئًا بعده.

بعد ذلك بقرن من الزمان وبالتحديد عام 999 ميلادية يذكر المؤرخ أبو بكر بن عمر القوطية أن رحالةً مسلم اسمه أبو فروخ الغرناطي أبحرَ من قادس عبر المحيط الأطلسي حتى نزل بـ: (غاندو) من جزر كناري الكبرى، ثم أتم إبحاره غربًا إلى أن رأى وسمَّى جزيرتين هما كابراريا وبلويتانا، ثم عاد إلى الأندلس في مايو من عام 999 ميلادية.

وقريبًا من ذلك التاريخ حدثت تلك الواقعة التي ذكرها الشريف الإدريسي الملقب بأبي الجغرافيا في كتابه (الممالك والمسالك) وهي واقعة الفتية المُغررين.. تحكي عن ثمانية فتية كلهم أبناء عم أبحروا من لشبونة، وعبروا بحر الظلمات وفي النهاية وصلوا إلى جزيرة فيها أناس وحضارة مكثوا فيها أربعة أيام لا يعرفون لغة للتواصُل معهم، وفي النهاية جاءهم مترجم من القوم يتكلم العربية! ومعنى هذا أنه كانت هناك زيارات لعرب إلى هذه الأرض قبلهم حتى يتعلموا العربية.

ويذكر الإدريسي أن الفتية عادوا إلى لشبونة واستقبلهم الناس بالاحتفالات وأطلقوا على حيهم اسم الفتية المغررين (أي الأوائل) (المغررون تعني المخاطرون وليس الأوائل، والمعنى المستقى من قصة الفتية هو المخاطرة، المدقق) في لشبونة.

هذه النماذج الثلاثة مستخرجة من مصادر عربية.. ولكن ماذا عن المصادر الغربية؟

دعنا نأخذ ثلاثة أمثلة أخرى.

لويزا إيزابيل أل فيريس دو توليدو، وهي دوقة مدينة سيدونسا بإسبانيا نشرت كتابًا في عام 2000 بعنوان (من أفريقيا إلى أمريكا) معتمدًا على وثائق تمتلكها في مكتبتها عن أجدادها النبلاء الذين حكموا هذه الأرض منذ خمسمائة عام، إن الوجود الإسلامي كان حاضرًا بقوة في أمريكا وجزر الأنتيل قبل وصول كولومبوس والإسبان إليها بأربعة قرون على الأقل ومن المعلومات العجيبة التي ذكرتها أن ياسين والد عبد الله بن ياسين – مؤسس دولة المرابطين – قطع المحيط الأطلسي وذهب إلى مناطق شمال البرازيل، وغينيا، ونشر فيها الإسلام. ذهب إلى هناك مع جماعات من أتباعه، وأسس منطقة كبيرة كانت تابعة للدولة المرابطية. أي: إن الدولة المرابطية لم تكن في شمال أفريقيا والأندلس والبرتغال فحسب، وإنما كانت أيضًا فيما يُسمى الآن شمال البرازيل وغينيا، وهذا موثّق بالوثائق التي تملكها الدوقة المذكورة.

الشاهد الثاني هو ابن كولومبوس نفسه كتب فيرديناندو كولومبوس – ابن كريستوف كولومبوس – عن السود الذين رآهم والده في الهندوراس قائلًا :

"الناس الذي يعيشون أقصى شرق نقطة كافيناس (Pointe Cavinas)، كما أهل كاب غراسيوس أديوس (Cape Gracios adios) سود كليًّا. وفي نفس الوقت في هذه المنطقة تعيش قبيلة مسلمة من السكان الأصليين تُسمى المامي."(Al Mamy)

الشاهد الثالث ذكر المؤرخ واللغوي الأمريكي المشهور ليو وينر Leo Weiner من جامعة هارفارد، في كتابه "أفريقيا واكتشاف أمريكا" الذي طُبع عام Africa and the Discover of America 1920 أن كلومبوس كان على علم بوجود أقوام الماندينكا في العالم الجديد، وأن مسلمي غرب أفريقيا كانوا منتشرين في منطقة الكارايبي، في وسط الأراضي الأمريكية وجنوبها وشمالها، بما في ذلك كندا، حيث كانوا يتاجرون بل يتزاوجون مع أقوام الإيروكويس Iroquois والألكونكوين Algonquin الهنديين.

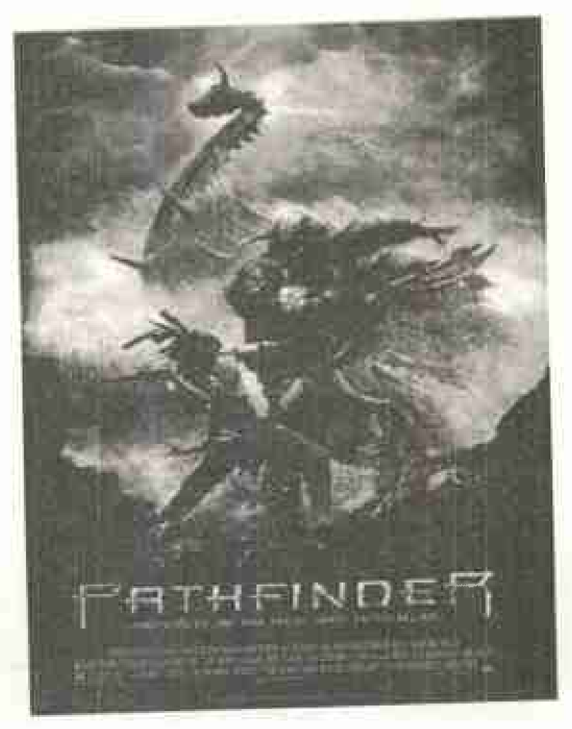
وبالطبع فجهود اكتشاف أمريكا لا تتوقف فقط على جهود الملاحين العرب والمسلمين، بل حصل في عام 1003 ميلادية أن أبحر بحار من الفايكنج وهم سكان الشمال في الدول الإسكندنافية، واسم هذا البحار ليف أريكسون أبحر من جرين لاند خلال المحيط الأطلسي ليصل إلى أرض ذات خضرة وكروم، فسماها فاين لاند أو واين لاند أي أرض الخمور،

وأقام هناك مستعمرة صغيرة، وعاد إلى جرين لاند، وحاول إقناع قومه باستكشاف هذه المناطق، إلا أنه لم يجد استجابةً منهم، فنسي الأمر واندثرت المستعمرة حتى كان عام 1960، تمكن علماء الآثار من اكتشاف بقايا مستعمرة للفايكنغ في جزيرة نيوفاوندلاند الكندية (Newfoundland)، وهذه المستعمرة تتكوَّن من عدة أكواخ صغيرة، استخرج العلماء منها مئات القطع الأثرية التي تدلُّ بشكل قاطع على أن ساكني هذه الأكواخ كانوا من الفايكنج، وقد أدرجت اليونسكو المستعمرة المسماة (L'Anse aux Meadows) كجزء من التراث العالمي، وحوّلتها السلطات الكندية إلى متحف بعد أن أعادت ترميم الأكواخ وتأثيثها



مستعمرة الفايكنج بجزيرة نيوفاوندلاند بكندا.

ومن الجدير بالذكر أن هوليود قد أنتجت فيلمًا في عام 2007 بعنوان Pathfinder يحكي عن غزوة قام بها بعض المغامرين الفايكنج على أراضي الهنود الحمر بأمريكا الشمالية.



فيلم Pathfinder عام 2007

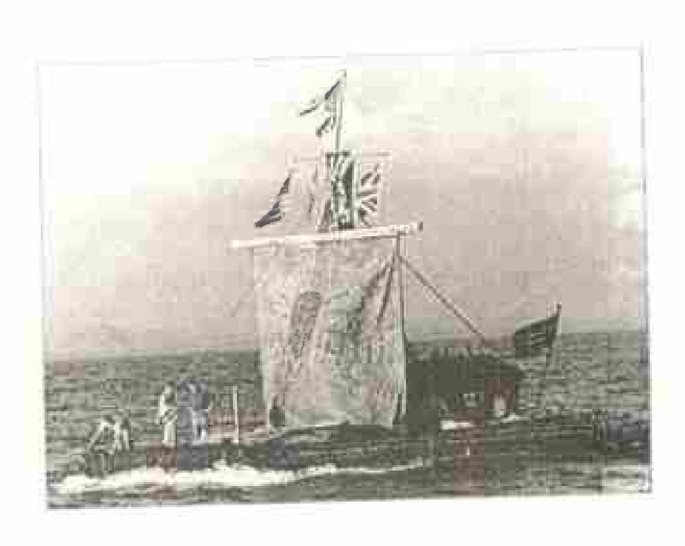
منذ بدايات القرن العشرين وحتى اليوم ظهرت آلاف الأبحاث والكتب التي أثبتت بالأدلة والوثائق أن المحيط الأطلنطي والقارة الأمريكية كانت مناطق مطروقة من قبل حضارات العالم القديم، وهناك دراسات

ترجع بأزمان اكتشاف الأمريكتين إلى الحضارات المصرية والفينيقية، بل إن هناك من تطوع لإثبات هذه النظرية بشكل عملي.

فهذا هو السيد / هيردال صاحب رحلة كون – تيكي المشهورة قام عام 1969 بعمل قارب من أعواد البردي وعبر المحيط الأطلنطي من المغرب إلى الشواطئ الأمريكية بدون صعوبات تُذكر لكي يُبرهن على أن الحضارات الأمريكية القديمة ما هي إلا امتداد للحضارة المصرية، وتأثرت بها في أساليبها المعمارية كالأهرام وغيرها.

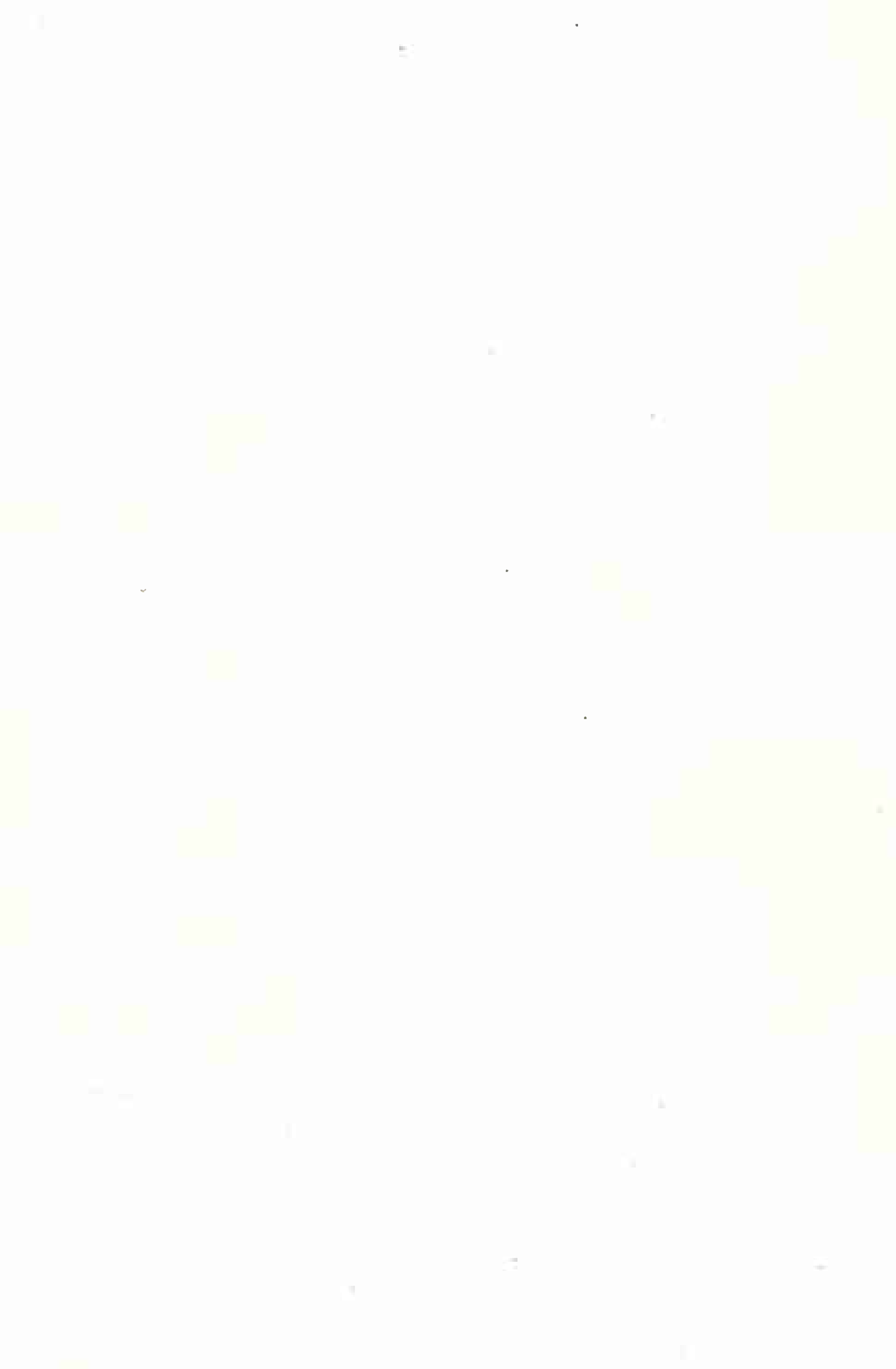
والسيد / هيرالد قام بأكثر من رحلة بسفن وأطواف بدائية جدًّا لإثبات إمكانية تنقل الناس في العصور القديمة إلى أمريكا ورحلته المعروفة كون تيكي كانت من بيرو إلى بولينيزيا في البحر الجنوبي لإثبات أسطورة لدى السكان هناك أن أجدادهم قدموا إلى بيرو عن طريق أطواف من بولينيزيا واستوطنوا هنا، فكانت تجربته العملية برهانًا قويًّا جدًّا على صحة الأسطورة.

***



رحلة كون – تيكي

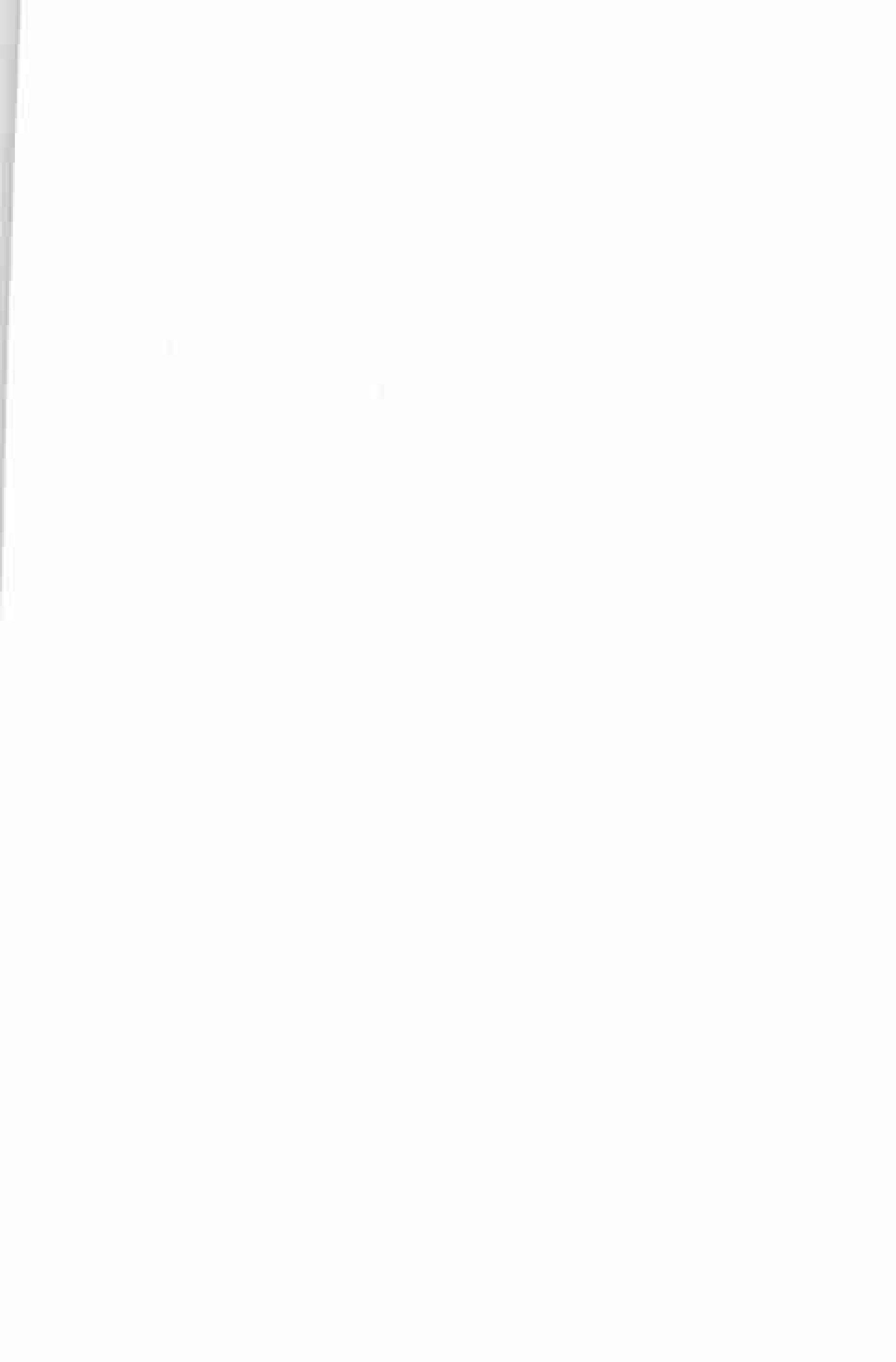
وأخيرًا بقي أن نشير إلى أن بيري ريس كتب بخط يده على الخريطة أن الأوربيين يدّعون أن كولومبوس هو مكتشف هذه الأرض – ثم أضاف أن هذا غير صحيح، وأن هذه الأرض كانت مُكتشَفة من قبل، وأن كولومبوس وقعَ على كتابٍ ما فيه هذه المعلومات فيقول: (يوجد كتاب سقطَ فى أيدي المذكور "كولمبو" مذكور فيه أن في نهاية البحر الغربي (الأطلسي) وعلى جانبه الغربي يوجد هناك سواحل وجزر وكل أنواع المعادن والأحجار الكريمة أيضاً.)





هانيبال





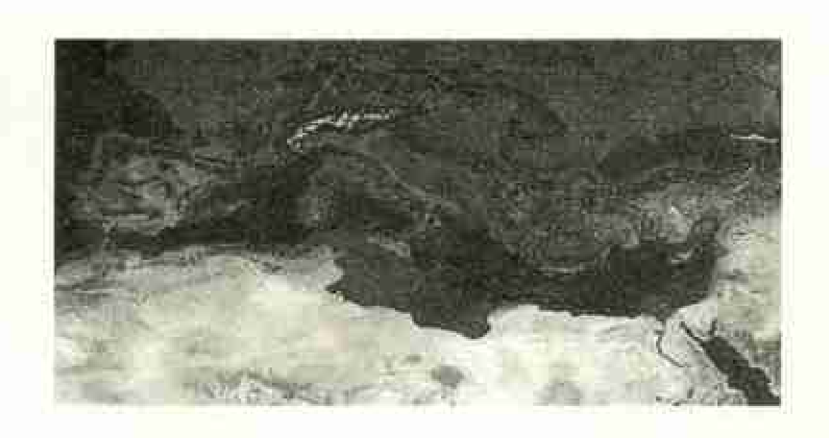
قصة هانيبال ما زالت تُثير خيال المؤرخين والمخططين العسكريين، وما زالت استراتيجياته وتكتيكاته تدرس في الكليات العسكرية، ولكن ما يثير دهشة كل من قرأ قصته هي النهاية التي كانت مخالفةً تمامًا لمجريات الأمور.. قصة هانيبال هي مثال آخر من أمثلة تاريخ البشرية غير المفهوم، حيث تأتي النتائج على عكس المقدمات، وتكون النهاية عكس سير الأحداث.. قصة هانيبال حددت مصير العالم لألف سنة بعده، وغيَّرت تكتيكات الحروب إلى يومنا هذا.. قصة هانيبال ملحمة حقيقية ومأساة إنسانية تضارع الملاحم الأسطورية.

ترى ما قصة هانيبال؟

***

1- القسم:

إنه عام 238 قبل الميلاد.. لو نظرت إلى منطقة البحر المتوسط نظرة كما لو كنت تستخدم برنامج جوجل إيرث لن تجد اختلافًا جغرافيًا للمنطقة عمّا عهدته ودرسته لسنوات في حصة الجغرافيا بالمدرسة..ولكنه عام 238 قبل الميلاد في هذا الزمن ستجد سوريا والشام تحت الدولة الفينيقية ومصر محكومة بالبطالمة، الشمال الأفريقي من ليبيا إلى المغرب وأجزاء من إسبانيا ملك للإمبراطورية القرطاجية الإمبراطورية العريقة عاصمتها مدينة قرطاج بتونس، بلاد اليونان ما زالت ملكًا للمملكة المقدونية أسباط الإسكندر الأكبر والذين لا يبلغون ربع معشار قدره وقدرته الإدارية والحربية، إيطاليا وجزائر البحر المتوسط تحت حكم الجمهورية الرومانية الدولة الفتية والتي تسعى بخطوات حثيثة نحو تكوين إمبراطورية لن يعرف التاريخ لها مثيلًا قرونًا قادمة.



خريطة بالأقمار الصناعية لحوض البحر المتوسط

أنت الآن فوق تونس وبشكل أدق فوق مدينة قرطاج.. فلتقرب الصورة الآن.. اقترب أكثر.. هل ترى هذه القصور الشامخة، وهذه المعابد السامقة، والطرق الممهدة.. نعم هذه مدينة قرطاج عاصمة الإمبراطورية القرطاجية ذات المجد التليد والتي ضربت أطنابها في هذه الأرض منذ ما يزيد عن خمسة قرون مع مجيء البحارة الفينيقيين هنا لينشئوا مدينة لهم ما لبثت أن أضحت إمبراطورية تسيطر على شمال أفريقيا من ليبيا وحتى جنوب إسبانيا.. حاول الآن أن تقترب أكثر، هل ترى هذا الموكب الصغير الذي ينطلق من قصر الحاكم في اتجاه المعبد الكبير؟ نعم فلتقترب أكثر لترى هذا الموكب.. إنه مكون من فردين يحيط بهم بعض الحرس الأشداء.. الأول رجل عملاق مهيب الطلعة قاسي الملامح تبدو عليه علامات عشرات المعارك التي تركت آثارها واضحة في وجهه يمسك بيد طفل صغير لم يبلغ التاسعة بعد.. ألا تعرف مَن هذا؟؟ إنه حاكم قرطاج

(هملكار) الملقب بـــبرقة أي الصاعقة، القائد القرطاجي الأسطوري..أما هذا الطفل الصغير فهو ولده الأكبر (حنبعل) أو (هانيبال) كما يُسمى في اللغات الأجنبية والذي سيكون له دور أسطوري فيما بعد.. ترى لِمَ يقصدون المعبد في هذا الوقت؟؟.. هيا بنا ندخل خلفهم ولنتابع الأحداث من بعيد.

إنه معبد إله القرطاجيين الأكبر (بعل حمون) الإله الفينيقي الأصل الذي انتقل مع المؤسسين إلى هذه الأرض ليكسب أرضًا جديدة وعبادًا جدد.. وهو المذكور في القرآن على لسان إلياس عليه السلام (أتدعون بعلًا وتذرون أحسن الخالقين).



هناك تمثال ضخم لبعل واقفًا باسطًا ذراعيه أمامه كما لو كان يحمل شيئًا وهميًّا ويعتمر قرني ثور ضخمين، وتحت ذراعيه قدر ضخم من نحاس يحوي بداخله نارًا مضطرمة تصاعدت ألسنتها عاليًا، تقدّم هملكار مع

هانيبال ليستقبلهما سدنة الصنم على عجل، وانحنى كبيرهم وهو يشير إلى المذبح إشارة ذات معنى، فتقدم هملكار ليحمل ذلك الشيء الموضوع على المذبح الذي لم يكن إلا طفلًا رضيعًا في عامه الأول من العمر يتلفت ببراءة غير عالم بما يدور.. حمله هملكار إلى الصنم الواقف لبعل ووضعه على ذراعيه المبسوطتين ثم أشار إلى هانيبال ليتقدم ويضع يده على الطفل الرضيع، فقال هملكار له بصوتٍ جهوري: تقسم على أن تكره روما ما حييت.

ابتلع هانيبال ابن التاسعة ريقه قبل أن يقول: أُقسم.

أعاد هملكار قائلًا: تقسم أن تناصبها العداء ما حييت.

هانيبال: أُقسم.

هملكار: تقسم أن تدمر روما يومًا ما.

هانيبال : اقسم.

انفرجت أسارير هملكار الصارمة والتفت إلى السادن وهز رأسه بإشارة ما فانحنى السادن، ثم أمسك ذراعًا في المذبح الحجري جذبه لتميل ذراعا بعل الحاملتان للرضيع ليتدحرج المسكين ليسقط في القدر الناري وحتى لم يجد فرصة ليصرخ ألمًا. وأغلب الظن أنه مات بمجرد سقوطه.. ارتاع هانيبال وأدار وجهه، ولكن هملكار أمسكه وأجبره على النظر وهو يقول بصوت كالفحيح.. انظر جيدًا حتى لا تنسى قسمَك.

نظر هانيبال إلى النار المضطرمة وقد تحجرت دموع الفزع في عينيه.. وفي هذه اللحظة تغير شيء ما داخل هانيبال.. لم يعد الطفل ابن التاسعة.. لقد كبر عشرات السنين.. لم يعد قلبه يحمل الحب والبراءة، بل شبّت فيه نار.. نار سوداء تحرق الأخضر واليابس.. نار الكراهية.

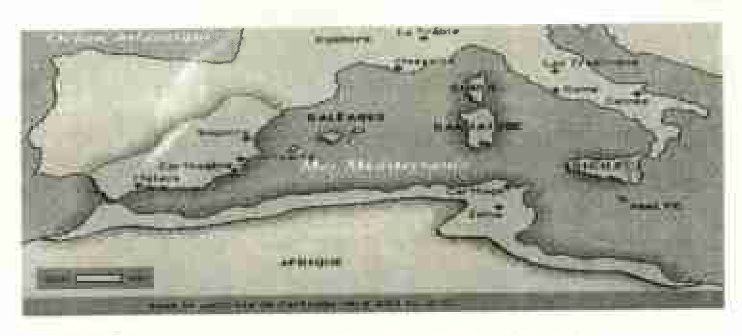
2- هملكار برقة:

ولكن قبل أن نرى تطورات هذه الليلة، وما أسفرت عنه بعد ذلك من حرب طاحنة راح ضحيتها مئات الألوف ودُمِّرت فيها عشرات البلاد، يجب أن نرجع قليلًا إلى الوراء لنرجع عشر سنوات فقط لنعرف ما الذي جعل هملكار يفعل ذلك.

***

3- الحرب البونية الأولى:

إنه عام 247 قبل الميلاد كانت الحرب البونية (القرطاجية) في ذروتها بين روما الدولة الفتية التي تسعى للتمدُّد على حساب الإمبراطورية الراسخة قرطاج، كانت الحرب تتجه نحو خسارة مؤكده لإمبراطورية قرطاج بعد سلسلة من الهزائم البحرية والبرية أمام جيش روما، فبالرغم من إنها الحرب الأولى التي تخوضها روما بحرًا والتي لم يعتد جيشها القتال إلا برًّا، غير أنها أبلت بلاء حسنًا حيث أنشأت أساطيل من السفن وزودتها بخطاطيف حديدية لم تكن معروفة في هذا الوقت.



الإمبراطورية القرطاجية إبان الحرب البونية الأولى

تُمكنهم من الإمساك بسفن أعدائهم والإنزال عليها، وبذلك تحوّلت الحروب البحرية إلى حروب برية (ومن سخرية القدر أن هذه الحيلة استخدمتها بعد ذلك دولةٌ فتيةٌ صاعدة أمام أسطول الروم نفسه، بعد ذلك بتسعة قرون حيث طبق نفس الفكرة الأسطول الإسلامي ضد أسطول الروم البيزنطيين وألحق به الهزيمة الساحقة في موقعة ذات الصواري 655 ميلادية).

كان هذا العام هو عام سطوع نجم قائد قرطاجي مخيف يضرب بسرعة وينزل على رؤوس الرومان الهزائم كالصاعقة مما جعله يستحق بحق لقب برقة.. نعم إنه هملكار الذي استطاع استعادة التوازُن لهذه الحرب فترة من الزمن حتى إنه نزل صقلية، وسيطر على أكثرها، وكاد يحسم المعركة فيها لصالح قرطاج لولا قرارات غامضة وغريبة من مجلس الشيوخ القرطاجي الذي أمره بالعود بالأسطول القرطاجي إلى قرطاجنة مما ترك فرصة لا تفوت للرومان لضرب العديد من المدن القرطاجية وحصارها، وفي النهاية اضطرت قرطاج لتوقيع معاهده تتنازل بموجبها عن صقلية وتدفع ضريبة سنوية لروما.. بعدها بفترة قصيرة انشغل هملكار بحرب المرتزقة الذين

ثاروا على قرطاج بسبب عدم دفع أجورهم، واستمرت تلك الحرب حوالي أربع سنوات وعندما انتهت منها كانت روما قد استغلت الفرصة واحتلت جزيرة سردينيا، فلما احتجت قرطاج أعلنت روما الحرب على قرطاج المنهكة من الحرب الأولى وحرب المرتزقة، فرضخت قرطاج وطلبت الهدنة، فتنازلت عن سردينيا وكورسكا ودفعت ضريبة إضافية لروما.

يمكننا الآن أن نتخيل الغضب ونار الكراهية التي اشتعلت داخل مقاتل صنديد مثل هملكار وهو يرى بلاده تُذل وتُهان بهذه الطريقة من قِبل روما

لقد كان يعلم أن الصراع مع روما صراع وجو، ولن ينتهي هذا الصراع إلا بدمار إحدى القوتين.. كان يعلم أن الصدام قادم لا محالة.. لذلك كان عليه إعداد من يُكمل الطريق بعده.. من يثأر لقرطاج ويقودها في حربها الأخيرة والتي ستقرر تاريخ العالم في الألف سنة التالية.

كان عليه أن يعد هانيبال.

***

4- طبول الحرب الثانية:

إنه عام 219.. مدينة (سجنتوم) تحت حصار هانيبال.

هانيبال الآن في الثامنة والعشرين من عمره.. لقد أصبح القائد العام للجيوش القرطاجية وهو في السادسة والعشرين، وصار حاكمًا لمستعمرات قرطاج في إسبانيا بعد موت حاكمها زوج أخته صدر بعل المُلقَّب

بالعادل.. كانت قرطاج قد أبرمت معاهده مع روما أن الأراضي الإسبانية جنوب نهر ابرة هي مرتع لقرطاج تفعل بها ما تشاء لكن سجنتوم كانت حليفة لروما لذا فقد كان لها استثناء من هذه المعاهدة.. لكن متى كان لحلفاء روما حصانة ضد هانيبال؟ روما نفسها ليس لها حصانة، وعليها أن تنتظر حتى يأتيها هانيبال ليسويها بالأرض.

إن كنت قد شاهدت مشهد حصار المدينة في فيلم ملك الخواتم فإن لديك فكرة عما يدور هاهنا.. عشرات الألوف من الرجال المتحفزين المشهرين سيوفهم ولا يكفون عن الزئير بأصوات مخيفة والطَّرق على الدروع.. مجانيق عملاقة لا تكفُّ لحظة عن إمطار المدينة بوابل من الحجارة والكرات النارية.. آلات الكبش منتشرة بطول السور تحاول نقبة.. عشرات السلالم تحاول أن تجد لها مكانًا على سور المدينة ليتسلقها مئات الرجال بشجاعة نادرة.. يبدو أن مقاتلي هذا الزمن كانوا لا يقيمون أي قدر لحياتهم الشخصية، فأول من يصعد هذه السلالم هو في حُكم الميت بدون شكٍّ، ولكن الرجال يصعدونها مرحبين وكأن عزاءهم أن الوقت الذي سيأخذه حرس السور في ذبحهم ربما يمنح غيرهم فرصة الوصول سالمين.

كانت هذه هي لحظات النهاية من حصار ثمانية أشهر كاملة، ومحاولات يومية لاقتحام المدينة، واليوم يبدو أن المدينة قررت أن تسقط.

ولكن هانيبال رغم أنه حاز النصر فإنه لم يكن سعيدًا.

لقد استغرقت سجنتوم وقتًا طويلًا قبل أن تسقط.. إذا كان هذا حال مدينة صغيرة كسجنتوم وأنا قريب من قاعدتي الرئيسية في قرطاج الجديدة عاصمته في إسبانيا فكم يا ترى ستحتاج مدينة منيعة كروما يحرسها عشرات الجيوش؟

في النهاية سقطت سجنتوم.. وراح الرجال يجوسون فيها خرابًا محتفلين بالنصر.. ولكن هانيبال لم يكن لديه وقت للاحتفال، إنه يعلم أن روما ستمتشق الحُسام لحربه وربما كانت قد سيرت قوة لحربه في إسبانيا، ولكنه لم يكن لينتظرهم حتى يأتوا إليه لقد اتخذ قرارًا أذهل رجاله قبل أن يذهل أعداءه.. سينقل الحرب إلى إيطاليا.. سيهاجم روما ويفاجئ الرومان في أرضهم.. لقد قرعت طبول الحرب البونية الثانية.

وبما أن طريق البحر أصبح غير متاح بعد سيطرة روما على البحر بعد الحرب الأولى لذا سيأخذ الطريق المستحيل.. سيقود جيشه عبر إسبانيا مرورًا بفرنسا ويعبر جبال الألب حتى يفاجئ الرومان في إيطاليا.

هل تبدو هذه الخطة سهلة من وجهة نظرك؟ هل تبدو قابلة للتحقيق؟

يكفي أن أقول إن هانيبال اضطر إلى تسريح عشرة آلاف من رجاله؛ لأنهم عارضوا هذا الجنون، واعتبروا أن فكرة هانيبال هي الهلاك لا أكثر.

في النهاية كان جيش هانيبال يتحرك بقوة قوامها 40 ألف مقاتل وتسعة آلاف فارس و37 فيلًا أفريقيًّا مدربين على القتال.

جيش مهيب هو.. ولكن لو تخيلنا كم كان يحتاج من طعام وماء في رحلته عبر جبال ووديان لا أثر فيها لشيء لعلمنا مدى صعوبة الأمر.. لو علمت أن الفيل يأكل يوميًا من 150 إلى 200 كيلو من الخضراوات، ويشرب نفس الكمية تقريبًا من المياه لكان ما سيأكله 37 فيلًا ما بين و87 أطنان يوميًا، بالإضافة لكميات المياه، ولو علمت أن عبور الألب وحده قد استغرق من الجيش 17 يومًا دون أية قرية أو مكان يمكنهم من التزوُّد بالطعام والماء لكان لزامًا على الجيش جرّ 150 طنًا من الطعام للفيلة فقط بخلاف طعام 10 آلاف فرس، بالإضافة لطعام 49 ألف مقاتل.

هل تتخيل عملية إقناع فيل بعبور نهر؟

هل تتخيل عملية إقناع فيل بصعود الجبال؟

يقول الدكتور أحمد خالد توفيق (حاول أن تقنع هرة صغيرة بصعود سلم بناية ووقتها ستعلم أي معجزة فعل هانيبال!)

هل تتخيل أي خليط كان جيش هانيبال؟

المحاربين الليبيون أرباب السيوف القصيرة، الخيالة النوميديون (قبائل الأمازيغ) وهم أمهر الفرسان وأسرعهم بلا منازع يركبون الخيل بلا سرجٍ ولا لجام ولا يحملون دروعًا أو سيوفًا، فقط يحملون رماحًا يضربون بها أعداءهم، قاذفو الحجارة من جزر البليار، المقاتلون الفندال من إسبانيا أرباب السيوف المقوسة (الفالكاتا)، انضم لجيشه فيما بعد مقاتلو الغال

المتوحشون الذين لا يعرفون في حياقم غير القتال، بالإضافة للجنود القرطاجيين.

هل تتخيل كم ثقافة وكم لغة يحتويها جيش هانيبال؟

إن سيطرته على كل هذه الأعراق مختلفة اللغات والعادات واستخدامهم بهذه الكفاية المذهلة لمدة 16 عامًا دون تذمُّر أو تمرد هو لغز من ألغاز التاريخ ويجعل من هانيبال شخصية غير طبيعية بالمرة.

لم يكن هانيبال يُسيطر على رجاله بالأوامر الصارمة والعقوبات القاسية، وإنما بالقدوة والمثل الأعلى، فقد كان لا يستريح حتى يتأكد من راحة كل جنوده، ولا يأكل إلا معهم دون تميز، ولا ينام إلا على الأرض مثلما ينامون، خيمته لا يمكن تمييزها بين خيام الجيش، وكان أول من يدخل المعركة وآخر من يخرج منها، ويخوضها عند أكثر نقاطها صعوبة وقتالًا.

كان متزوجًا بأميرة إسبانية حتى يضمن ولاء الإسبان له غير أنه لم يبقَ مع زوجته أيامًا معدودة كان يُفضِّل صليل السيوف على صوت القيان، ويُفضِّل مصاحبة الجيش والضرب والطعن على رغد الحياة مع النساء؛ لذا كان جنوده مخلصين له، راضين بما يأمرهم به حتى لو كان المستحيل ذاته ما دام يتقدَّمهم ويخوضه قبلهم.

كان هانيبال يهتم جدًّا بالمعلومات، ويعتبرها مفتاح النصر في الحروب؛ لذا كان يُخصِّص فرقًا للاستطلاع وجمع المعلومات.. ومن خلالها عرف أن

قوة رومانية قادمة من روما قد حطت رحالها في ميسيليا (مرسيليا) وأن هذه القوة متوجهةً إلى إسبانيا لقتاله.

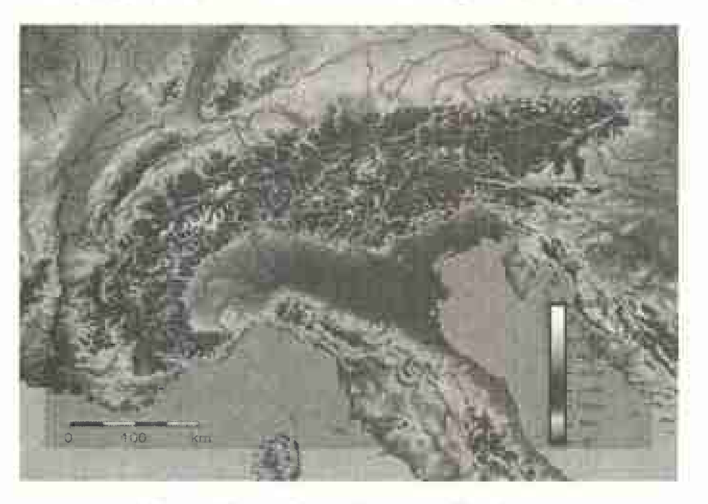
استطاع هانيبال بتغيير بسيط في تحركاته تفادي التصادم مع هذا الجيش، ليس عن خوف وإنما عن رغبةٍ في عدم كشف تحركه ليضمن عامل المفاجأة عند وصوله إيطاليا.

عبر جيش هانيبال فرنسا بلاد الغال فتعرض لبعض الهجمات من القبائل المحلية الذين كانوا موالين لروما، ولكنه تصدَّى لهم دون كثير عناء، ولاحت لهم من بعيد العقبة الأكبر في سبيلهم.

***

4- جبال الألب

كان الرومان منذ سنوات قد بسطوا سيطرتهم على سائر إيطاليا، وتوسعوا شمالًا حتى جبال الألب.. كانت جبال الألب تشكل نصف دائرة كالتاج فوق إيطاليا تشكل مانعًا طبيعيًا يحمي إيطاليا كما لو كانت أعلى سور طبيعي في العالم يحمي إيطاليا من أي جيش يمكن أن يقصده؛ لذا فقد كان الرومان يطلقون على الألب هذه التسمية المقصودة (سور روما).



جبال الألب تبدو كسور يحمي شمال إيطاليا.

كلمة ألب في اللغة اللاتينية تعني اللون الأبيض، وذلك راجع للثلوج التي تغطيها فتعطيها هذا اللون.

تعتبر جبال الألب من أعلى الجبال في العالم، ويبلغُ ارتفاع أعلاها ما يُقارِب 5000 متر فوق سطح الأرض.

تخيل عبور الألب لجيش يُقارب الخمسين ألفًا بعتادهم، وزادهم ودوابهم في طقسٍ مُتجمِّد ومرتفعات شاهقة وتضاريس مخيفة.. كثيرًا ما كانت تضيق الطرق بالجيش حتى يعبروها واحدًا واحدًا أو اثنين اثنين.. بالإضافة لهجمات متكررة من قبائل الغال المتوحشة وقبائل الكلت المستوطنة للألب.. ولكن جيش هانيبال صمدَ وأكملَ طريقه.. كانت التضحيات كبيرة، والخسائر مخيفة، ولكنه صمدَ..أحيانًا كانت تعترضهم صخرة عملاقة أو كتلة من الجليد، فكان يأمر بإشعال النار تحتها، وصبٍّ الخلِّ من فوقها، فكانت الصخرة تتصدع وتنهار إلى أشلاء.. كان دومًا يقول: (سنجد حلًّا فإن لم نجد سنصنع واحدًا) بعد تسعة أيام وصل الجيش إلى قمة الألب ورأوا أمامهم من بعيد سفوحًا خضراء ووديانًا تقطر بالماء العذب، فقال لهم هانيبال: لقد تسلقنا سور روما، وما هو قادم سيكون أسهل.

ولكنه لم يكن يتخيل أن الثمانية أيام التي سيقضيها الجيش في النزول ستكون أصعب وأشرس بسبب الجليد الذي غطى كل شيء، فأصبحت الأرض زلقةً كثيرًا، ما تسبب في سقوط الرجال والدَّوابِّ.. لقد خسر جيش هانيبال 20 ألف رجل في عبور الألب أي ما يُقاربُ نصف جيشه،

وأربعة آلاف حصان، و9 أفيال، وهي خسارة رهيبة وغير مقبولة أبدًا بالنسبة للجيوش في أي زمن.. ولكن هانيبال لم يكن يهتم لهذا.. ما زالت نيران القدر النحاسي وجسد الطفل الرضيع تأكله النار شاخصة أمام

عينيه.. ما زال قسمه يُؤرِّقه ويحرمه النوم والراحة.. لن يهدأ حتى تهدأ الأصوات في روما فتصير خرابًا ينعق فيها البوم.



جيش هانيبال يعبر الألب

أخيرًا وصل هانيبال إلى إيطاليا، وصار انتقامه بين يديه لا يفصله عنه إلا القليل.. لقد عبر جيشه **1500** ميل من إسبانيا عبر جبال البرانس وأرض الغال وجبال الألب حتى يفاجئوا روما في عُقر دارها، ولقد نجح في الشق الأول، فهل سينجح في الشقّ الثاني؟

***

5- هانيبال في إيطاليا

لم يكن هانيبال محاربًا عظيمًا ومخططًا حربيًا قديرًا فحسب، بل كان أيضًا رجل سياسة بارعًا ودبلوماسيًا ماهرًا.. بمجرد انطلاقه من إسبانيا قاصدًا إيطاليا كانت رُسله قد سبقته إلى أمراء إيطاليا وحلفاء روما

بالانضمام إليه ونقض أحلافهم مع روما التي سيطرت في وقت سابق على إيطاليا بعد حربٍ دامية هلكت فيها مئات الألوف من الأنفس، ولا تزال جذوة الحقد على روما في قلوب الكثير من الإمارات الإيطالية، فلِمَ لا يستغل هانيبال ذلك؟

كما أن قبائل الغال التي تقبع شرق الألب طالما عانت من ازدراء روما لهم، على اعتبار أنهم برابرة همج، أقلُّ من البشر، وأخذت منهم روما الكثير من أراضيهم شمال إيطاليا، والغال لا ينسون ثأرهم بسهولة، فلِمَ لا يستغل ذلك أيضًا؟

ورغم أن جهوده الدبلوماسية لم تؤتِ ثمارها في البداية إلا مع قبائل الغال الذين أبدوا استعدادًا للانضمام إلى هانيبال والانضواء تحت لوائه فقدْ كان واثقًا بتغيُّر الحال عندما تبدأ روما بتلقي الصفعات على أرضها.. وبالفعل فقد كان على حقّ.

كان الجيش الذي أرسلته روما إلى إسبانيا لقتال هانيبال الذي استطاع هانيبال تفادي لقاءه قد عاد إلى روما ناقلًا خبر تحرك هانيبال إلى إيطاليا.. ويبدو أن مجلس الشيوخ لم يأخذ هانيبال على محمل الجد.. مَن هذا الصبي المجنون الذي يدفع برجاله إلى الهلاك عبر الألب حتى لو وصل فسيكون في حالةٍ مُزريةٍ ولن يحتاج الأمر إلا لقوة بسيطة لسحقه والإطاحة به.

***

معركة تسينيوس:

كان قائد الجيش الذي تفاده هانيبال هو بابلوس سكيبيو.. وعائلة سكيبيو عائلة عريقة في الجندية الرومانية، ويمكن لغير المتخصص أن يحدث له كثير من الخلط بين القادة الرومان المسمين سكيبيو عبر تاريخ الحروب البونية.

كان بابلوس سكيبيو قد انطلق هو وجيش يحوي عشرة آلاف مقاتل لملاقاة هانيبال عند عبوره الألب.. ولكن لأن حساباته خانته، فهو لم يتوقع ذلك الوصول السريع لهانيبال عبر الألب، فكانت المفاجأة القاسية لجيش سكيبيو ودارت الدائرة عليه وجنوده، فقُتل منهم في هذه المعركة **2000** رجل، وانسحب سكيبيو وعبر نهر تريبيا وعسكرَ هناك منتظرًا إمداد روما له، وكان قد جُرح جرحًا بالغًا، وكاد يهلك لولا أن ولده سكيبيو استطاع أن ينقذه ويهرب به.. وولده هذا هو من سيكون له الدور الرئيسي في نهاية هذه الحرب.

***

معركة تريبيا:

وصل المدد لسكيبيو، فيالق رومانية جاهزة للقتال جيشين كاملين، رفع عدد رجاله إلى **40** ألف مقاتل، وأرسلت روما القنصل (تيبريوس لونجيوس) لقيادة الجيش بدلًا من سكيبيو الجريح.. لقد صار له الأفضلية في العدد الآن وانتظر قُدوم هانيبال.

وصلت قوات هانيبال للشاطئ الثاني لنهر تريبيا فعسكر برجاله.. إنه شهر فبراير في فصل الشتاء في شمال إيطاليا.. مياه النهر اقتربت من درجة التجمُّد، إنه ليس أحمق ليعبر نهرًا كهذا في هذه الظروف؛ لذا فسيعتمد على حماقة الرومان.. كان يعتمد نظرية (دع الأرض تقاتل عنَّا).

مع أول ضوء في الصباح وقبل استيقاظ الرومان أمر هانيبال 3 آلاف من خيالته النوميديين اجتياز النهر ومهاجمة معسكر الرومان، كانت ضربة مفاجئةً، وقبل أن يستعد الرومان أو يتناول الجند طعامًا جاءهم الأوامر لعبور النهر على عجلٍ والاشتباك مع قوة هانيبال الرئيسية.. تحرَّك الرومان وعبروا النهر البارد فكادت أطراف الجند المرهقين الجائعين تتجمَّد، ولكنهم عبروا وأخذوا تشكيلهم المعتاد.

وهنا هاجم هانيبال بآلات الرُّعب التي اصطحبها معه في من أفريقيا.. الأفيال.

هاجمت الأفيال الهائجة المُدرَّبة فيالق الرومان بتشكيلة المربعات الشهيرة التي تعودها الرومان، وصاروا لا يقاتلون إلا بها.. فجأة تبعثر الرجال، وضاع تشكيلهم، وأصبحوا شراذم لا يربطهم تشكيل، وصدق حدسُ هانيبال، فالرومان تعودوا القتال المُنظَّم وأتقنوه حتى أن أقل خلل في التشكيل يجعلهم غير قادرين على القتال بفاعليةٍ، وهذه هي نقطة الضعف في النظام الفائق، وهنا جاء دور رجال هانيبال فأحاطوا بالجيش الروماني المُقطَّع وابتدؤوا الضغط عليهم ليردوهم إلى النهر، ثم جاء دور الخيالة الذين قد قفلوا عائدين من غزوهم في معسكر الرومان ليقطعوا على الرومان طريق العودة، وابتدأت المذبحة.. وقبل نهاية اليوم كان الجيش

الروماني قد انسحق وقُتل منه 30 ألفًا بالإضافة إلى الأسرى.. كانت هزيمة تريبيا هي أقسى هزيمة شهدها الرومان منذ حروب التوحد.. بعد ذلك توجه هانيبال جنوبًا وعبر جبال الابنين وصار على مسافة قصيرة من روما.. كانت قبائل الغال قد أمدته بأعداد كبيرة من الرجال ليقاتلوا معه عدوهم اللدود روما، فارتفع عدد جيشه إلى ما يزيد عن 40 ألف مقاتل مرةً أخرى، وأثناء مسيره جنوبًا أُصيبت عينه بالرمد، ولكن بسبب إهماله لها فقد أصيبت عينه اليسرى بالعمى إلى الأبد.

***

معركة تراسيمانيا:

بعد هزيمة لونجيوس في تيريبا أرسل إلى مجلس الشيوخ أن سوء الأحوال الجوية كان السبب في الهزيمة، ولكن بالطبع هذا لم يُقنع المجلس الغاضب فتم انتخاب اثنين من القناصل ليقودا الجيوش ضد هانيبال (جنايوس جومنيوس) و(جايوس فلامنيوس) وهذا الأخير هو مَن يعنينا حيث كانت معركة روما القادمة مع هانيبال تحت ق4يادته.

كانت موقعة تراسيمانيا هي أكبر فخ قاتل واجهته روما حتى هذه اللحظة.. قام هانيبال بمناورة بارعة حيث تحرك بجيشه نحو ميسرة الجيش الروماني حتى يجبره على التحرك باتجاه بحيرة تراسيمانيا، ثم اختبأ هو وجيشه على طول صفوف الأدغال بالقُرب من البحيرة، وأرسل عددًا من رجاله إلى مكان بعيد، وأشعلوا نيرانًا ليتصاعد دخانُها كما لو كانت معسكرًا للجيش، فلما رأى فلامنيوس دخان النيران ظنَ أنه ظَفرَ بهانيبال

وجيشه وهم غير مستعدين، فتتبع هو وجيشه النيران وساروا في طريق جبلية ضيقة على ساحل البحيرة مرةً ثانية تنتصر نظرية هانيبال (دع الأرض تقاتل عنا) وفجأة انقضَّ عليهم هانيبال وجيشه من الأدغال والضباب الكثيف وبدأت المجزرة.

لم يكن الرومان مستعدين، لم يأخذوا حذرهم، ولا اتخذوا صفوفهم وتشكيلاتهم، لقد هُوجموا من كل صوبٍ، ومنعتهم البُحيرة عن يمينهم من الهرب.. سُحق جيش روماني آخر وقُتِل حوالي 20 ألف مقاتل، وقُتل فلامنيوس القائد الروماني وقنصل مجلس الشيوخ.

وأصدرَ وقتها هانيبال إعلانه الشهير: (ما جئت لأقاتل الإيطاليين، بل جئتُ لأقاتل روما بالنيابة عنهم) محاولًا بذلك استمالة الإيطاليين للانحياز إليه ضد روما.

كانت هزيمة تراسيمانيا نقطةً فارقةً لروما، فقد صار هانيبال على بُعد رمية حجرٍ من روما، وكل جيش ذهب لإيقافه لم يعد.. والمشكلة أن الأخبار التي صارت تتردد عن هانيبال جعلت الذُعر يدبُّ في أوصال الرومان.. همجي، آكلٌ للبشر، معه جيش من الوحوش يتغذون على لحوم الرومان ويمتصون دماءهم، وأمثال هذه الشائعات التي أُطلقت أساسًا كزيادة في احتقار هانيبال وتبغيض العامة فيه، ولكنها أتت بنتيجة عكسية، حيث دمَّرت معنويات الرومان، وجعلتهم يفضلون الموت على لقاء هانيبال.

***

استراتيجية فابيان:

صار الحلم كابوسًا، جيوش روما تُلتهم واحدًا بعد الآخر، والقناصل يتساقطون أمام هانيبال مثل أوراق الخريف.. الأمر جديٌّ.

كانت روما في هذا الوقت جمهورية برلمانية محكومة بنظام ديموقراطي متينٍ لا يسمح أبدًا بانفراد شخصٍ ما بالسلطة أو القرار المنفرد، كان يتم انتخاب دائمًا اثنين من القناصل سنويًّا لقيادة الدولة مدة عام حتى لا ينفرد أحدهما بالحكم دون الآخر.. ولكن الوضع الآن أصبح خطيرًا جدًّا، فالعدو هذه المرة يطرق أبواب روما، ولا وقت للنقاشات وتوزيع القرار بين رجلين؛ لذا فعلى عجلٍ انتخبَ مجلس الشيوخ رجلًا مشهوًاد له بالحكمة والعقل الراجح في هذه المرحلة هو (فابيوس ماكسموس)، وأعطوه لقب (دكتاتور) والتي تعني.. المنفرد بالرأي.

كان فابيوس بالفعل رجلًا قديرًا، وكان بالفعل قادرًا على مجاراة هانيبال ذي الخطط الشيطانية بخطة أخرى شيطانية.. كانت خطة فابيوس تعتمد على عدم الاحتكاك مع هانيبال وعدم ملاقاته في معركةٍ حاسمة.

استراتيجية المقاومة السلبية التي سُميت في التاريخ الاستراتيجية الفابيانية نسبةً إلى فابيوس ماكسموس.

كانت فكرة فابيوس تقول إن جيش هانيبال بعيدٌ عن أرضه ونقاط ارتكازه في قرطاج وإسبانيا، وهو بحاجة لمددٍ وطعام ومهمات لجيشه.. إنه قادر على مُلاقاة أعتى الجيوش وسحقهم بلا هوادةٍ، ولكنه لا يستطيع

مواجهة العدو الأكبر الذي يقف في صفِّ روما (الزمن).. كلما مَرَّ الوقت فسيحتاج لمؤن وإمدادات، وما دامت قرطاج وإسبانيا بعيدتين عنه فسيحتاج للمعونة من الإمارات الإيطالية.. ولكن هذه الإمارات ما زالت على ولائها لروما ولن تساعده بشيء؛ لذا فليصبر قليلًا، وليدع الزمن يفعل بجيش هانيبال ما لا تستطيع أن تفعله الجيوش.

ظلت روما على هذه الاستراتيجية لعامٍ كامل تتجنب لقاء هانيبال في موقعة حاسمةٍ وتحاول تضيق الخناق عليه بقطع خطوط الإمدادات وتقوية أحلافها في أوروبا.. كانت استراتيجية فابيوس سديدة جدًّا وتؤتي ثمارها.. ولكن روما لم تصبر.

الجنرالات المتحمسون والغرور الروماني رفضَ هذه الاستراتيجية، فتم عزل فابيوس من منصبه، وقام مجلس الشيوخ بانتخاب اثنين من القناصل المتحمسين للحرب مع هانيبال هما (جايوس ترنتيوس) و(لوسيوس بولوس) فقاما بحشد لم يسبق لروما عبر تاريخها أن حشدت مثله لمعركة واحدة جيش من 80 ألف مقاتل لمعركة حاسمة ونهائية مع هانيبال.

***

معركة كاناي:

بحث القنصلان عن جيش هانيبال فوجداه في الجنوب في سهل كاناي، وهناك اصطفَّ الجيشان للمعركة الفاصلة.. ثمانون ألف مقاتل روماني منظم بتشكيلة المربعات الشهيرة يوجهون أربعين ألفًا اصطفوا بطريقة عجيبة، لم يروا مثلها من قبل.. صف هانيبال جيشه على شكل نصف

دائرة بحيث يكون القلب هو الأقرب للجيش الروماني، والجناحان هما الطرفان البعيدان لنصف الدائرة.. وأرسل هانيبال خيَّالته النوميديون بقيادة القائد البارع مهربعل لقتال خيالة الرومان، وابتدأت المعركة.

كان هانيبال بنفسه يقود قوات القلب التي اشتبكت مع مربعات الرومان، وكان القوام الأساسي للقلب من حلفائه الغاليين الذين كان يتوقع أنهم لن يكون لهم صبر على القتال، خاصة أنها ليست معركتهم، وجعل الجناحيين هم رجاله الذين ضرستهم الحروب، والذين خاضوا معه جل معاركه.. عندما التقى الجمعان واشتبك القلب مع الرومان كان بالطبع التفوق للمربعات الرومانية التي دفعت بالقلب وأجبرته على التراجُع.. وصدق حدس هانيبال، فالغال لم يصمدوا طويلًا أمام الرومان، فبدؤوا بالتراجُع تدريجيًّا فأغرى ذلك الرومان بالتقدُّم نحو القلب الذي صار نقطة ضعف الجيش القرطاجي، ولكنهم لم يلاحظوا أنهم مع تقدُّمهم في القلب قد صاروا بين فكي الجناحين القرطاجيين، وانقلبت نصف الدائرة بدلًا من أن تكون للخارج أصبحت للداخل، وتحوي بداخلها الجيش الروماني في نفس التوقيت كان مهربعل بفرسانه قد سحقوا خيالة الرومان وأجبروا من بقي منهم على الفرار ثم عادوا أدراجهم بسرعة، ليغلقوا الدائرة على الجيش الروماني الذي لم يعد له مفر.. وابتدأت المجزرة الرهيبة.

استمر الذبح حتى شارفت الشمس على المغيب، وفي النهاية كان هناك 70 ألف جثة من الرومان تفترش سهل كاناي، وقُتل بينهم القنصلان و80 من أعضاء مجلس الشيوخ الذين تطوعوا للقتال ضد هانيبال.

لقد سُحقت زهرة جيوش روما.. روما أصبحت مدينة مفتوحة لا يحميها أحد وفاتحةً ذراعيها لهانيبال.

كانت صدمة كاناي هي أقسى هزيمة لقيها الجيش الروماني في تاريخه، حتى إن أهل روما خرجوا إلى الشوارع يبكون بجزعٍ، وهُرعت النساء إلى المعابد يغسلن أقدام الآلهة بدموعهن، وعاد الناس للتضحية بالبشر كمحاولةٍ يائسة لاسترضاء الآلهة لترحمهم من الوحش الذي يوشك على التهامهم.

وكان لكاناي تأثير آخر على المدن الإيطالية حيث خلعت الإمارات الإيطالية ربقة الولاء لروما وتحالفت مع هانيبال وصارت روما جزيرة منعزلة في إيطاليا توشك أن تسقط بين ليلةٍ وضحاها.

والآن لنتوقف قليلًا ولندع الزمن يتوّقف هنا ولنلقِ نظرة على الأوضاع حتى نستطيع استقراء ما سيحدث بعدها.

218 ق م هانيبال حقّقَ المستحيل، وقاد جيشًا لغزو روما من حيث لا تحتسب.

218 ق هانيبال سحق الجيوش الرومانية واحدًا تلو الآخر.

217 قم هانيبال كبَّد روما خسائر في البشر والعتاد فوق طاقة أي أمه أن تتحمله.

216 ق م هانيبال نجح في تأليب الإمارات الإيطالية على روما، ويجعلها تتحالف معه للقضاء المبرم على روما.

216 ق م روما تسقط في الفزع والرعب وتتخبط في الفوضى بعد معركة كاناي، وتستعد لاستقبال هانيبال ليدمرها ويسويها بالأرض.

***

إن الأمور الآن تسير نحو النهاية المحتومة، ولا يمكن لأي متتبع للأحداث أن يستقرئ شيئًا مغايرًا.. سيصل القارئ إلى نتيجة حتمية مفادها (لقد انتصرت قرطاج وستقود هي العالم خلال الألف سنة التالية، ولقد سُحقت روما مبكرًا قبل أن تكمل مشروعها الإمبراطوري بالسيطرة على العالم المأهول).. ولكن دعنا قبل أن نكمل الأحداث نذهب عبر الزمن 14 سنة فقط لنرى مشهدًا غريبًا جدًّا.

***

203 ق م روما تُحاصر قرطاج وهانيبال يعود من إيطاليا للدفاع عن مدينته.

202 ق م روما بقيادة سكيبيو الابن يدحر قوات قرطاج بقيادة هانيبال في موقعة زاما.

201 ق م قرطاج تستسلم وتقبل بالهدنة بشروط أكثر إذلالًا من شروط الحرب الأولى.

هانيبال يفرُّ من قرطاج، ويلجأ لانتيوخس الثالث الملك الفينيقي في سوريا.

هانيبال يفرُّ من سوريا ويلجأ لكريت ثم يفر منها إلى بيثينيا في آسيا الصغرى.

184 ق م هانيبال يُقرر الانتحار أخيرًا حتى لا يقع في يد الرومان فيتناول السُّم.

149 ق م روما تعلن حربًا جديدة على قرطاج.

146 ق م روما تدمر قرطاج ولا تترك فيها حجرًا على حجر، وتقتل كل من فيها من السكان وتصبُّ الملح في أراضيها حتى لا تُزرع بعد اليوم، وبذلك تنتهي قرطاج من التاريخ إلى الأبد، وتصبح روما سيدة العالم وتسيطر على معظم العالم في وقتها.. ويستمر التاريخ كما نعرفه.

***

ما الذي يحدث؟

كيف تغيَّرت دفة الأحداث بهذه الطريقة وأتت النتائج بعكس سير الأحداث؟

قبل أن نجيب عن هذا اللغز دعونا نعد لمعسكر هانيبال بعد موقعة كاناي.. هانيبال المنتصر يأمر بوليمة ضخمة لجنده ويأمرهم بالراحة، ولكن

مهر بعل القائد المحنك والذي كان قائدًا منذ عهد والده هملكار برقة ينظر إليه في دهشة ويقول: هذه الوليمة يمكن أن نأكلها بعد خمسة أيام في روما، مُرني فسأسبقك بفرساني إلى هناك، فلا يشعرون إلا ونحن في وسطهم.

فيبتسم هانيبال وهو يقول: يا عماه فلندع الجنود يستريحون ويحتفلون بالنصر.

فيهزُّ مهربعل رأسه في حزن ويقول له كلمة خلدَّها التاريخ: اسمع مني يا هانيبال لقد حباك الله بمميزات كثيرة، ولكنه لا يعطي كل نعمه لشخص واحدٍ، فأنت تعرف كيف تنتزع النصر، ولكنك لا تعرف كيف تستفيد منه.

وبالفعل فهانيبال لم يتوجه إلى روما بعد ذلك، وظل مدة **14** سنة يتسكع في إيطاليا منتظرًا أن تأتيه روما لتعلن له استسلامها وترضخ لشروطه ليذلها كما أذلت قرطاج.. ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث.. لقد صمدت روما ورفضت الاعتراف بالهزيمة، وراحت تعد قوتها من جديد، وعادت لاستراتيجية فابيان السديدة بعدم الاحتكاك بهانيبال ثانية حتى تكامَلَ لروما قوة معقولة، فأسلمت قيادتها لقائد شابٍّ هو سكيبيو الابن الذي سيُعرف في التاريخ بعد ذلك باسم سكيبيو الأفريقي.

وارتأى سكيبيو بفطنته أن عدو روما ليس هانيبال، وإنما قرطاج، فاتبع طريقة تجفيف المنابع، فقاد حملةً ضخمةً إلى إسبانيا، واستطاع احتلالها، وبذلك فَقَدَ هانيبال مصدره الأول، ثم عاد سكيبيو وقاد حملةً إلى قرطاج نفسها، وبذلك لم يعد أمام هانيبال إلا الانسحاب من إيطاليا والعودة

للدفاع عن مدينته.. وهناك خسر خسارة نكراء أمام قوات سكيبيو في موقعة زاما، وانقلبت موازين القوى.. واستسلمت قرطاج.

ونحن هنا لسنا بصدد دراسة ما حدث بعد زاما، بل ما حدث بعد كاناي.

المؤرخون أجمعوا على أن هانيبال لو استمع لمشورة قُوَّاده وعاجَلَ روما بالغزو لتغيَّر وجه التاريخ تمامًا، ولانتهى من التاريخ ذِكر روما للأبد ولأصبحت قرطاج هي حاضرة العالم، وكنا الآن ندرس تواريخ مختلفة تمامًا عما عهدناه.

ولكن لماذا لم يهاجم هانيبال روما؟

ترى هل كانت تجربته مع سجنتوم حاضرة في ذهنه وخشي أن يطول حصار روما، كما طال حصار سجنتوم، وهو غير مجهز بأدوات الحصار والصبر على طول المدة؟

ولكن هذا غير صحيح، فهانيبال صبر بعد ذلك أربعة عشر سنة، فهو لا ينقصه الصبر.

هل كان يظن أن أسوار روما وحصونها ستمنعه من دخولها؟

بالطبع لا، فهانيبال قائد مُحنَّك ويعرف أن الصمود ليس بقوة الأسوار والحصون، وإنما بعزائم الرجال، وروما في أسوأ حال وغير مستعدةٍ لمقاومة الوحش الأسطوري القادم من أفريقيا.

يقول بعض العلماء إن معركة كاناي نفسها هي السبب، حيث قتل فيها من الرومان 70 ألفًا في يوم واحد، وكان هذا عدد أضخم من أن يتحمل أي إنسان رؤيته ولا يتأثر به؛ لذا فقد أحسَّ هانيبال بأنه اكتفى من الدماء وقرَّر أن يكمل الحرب باستسلام روما دون قتالٍ، فلقد أحسَّ أنه نال ثأره وأشبع انتقامه.

ولكن هذه الفرضية أيضا غير مقبولة.. فهانيبال ليس طفلًا صغيرًا أو غِرًّا ساذجًا، بل هو قائد مُحنَّك خاض عشرات المعارك وأراق أطنانًا من الدماء، وأصبح لديه مناعة منها، فلن يؤثر فيه دماء الرومان إلا كتأثير ماء البحر بالنسبة للظمآن تزيده ظمأ على ظمأ.

مهما نحاول أن نعرف الحقيقة، فستظلُّ الحقيقة دفينة صدرَ هانيبال، ماتت معه يوم تناول السُّم وانتحر.

وسنظل حتى نهاية الدهر نذكر قصته ونحاول أن نسأل أنفسنا نفس السؤال مِرارًا وتكرارًا:

لماذا يا هانيبال؟

لماذا؟

بقي أن نذكر أن قصة هانيبال تجد صدًى واسعًا جدًّا في العالم الغربي، وسنويًّا هناك عشرات الكتب تصدُرُ عن هانيبال وتتبع حملته وإيجاد فرضيات جديدة.. أما في عالمنا العربي فيكاد هانيبال لا يُذكر أبدًا إلا في معرض حديث عن تاريخ روما كملحوظةٍ عابرة.

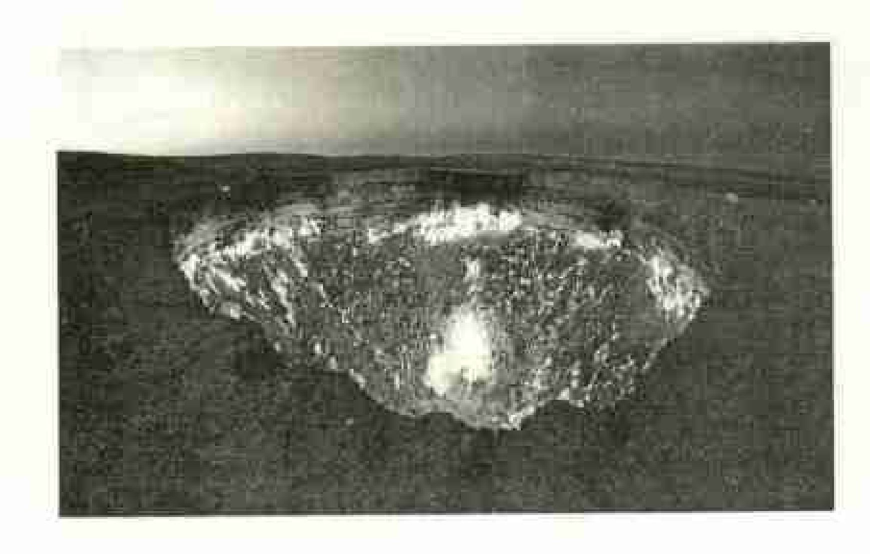


الدكتور أحمد خالد توفيق استخدم حملة هانيبال في إحدى مغامرات عبير بطلة سلسلته الشهيرة فانتازيا، ووصف الحملة والمعارك وصفًا جميلًا للغاية يجعل القارئ، يلمُّ بتاريخ هذا القائد العظيم بشكل عامٍّ.

***



بئر الجحيم



أولًا أحبُّ أن أنوِّه أن موضوع البحث لا يتعلق بحفرة جهنم المعروفة في دولة تركمانستان التي باتت معروفة كلغز علمي ذائع الصيت بخاصة على صفحات التواصُل الاجتماعي، وربما نخصص لها مقالًا آخر في وقتٍ لاحق.

***

حفرة جهنم في تركمانستان

موضوعنا اليوم عن بئر أخرى اختلطت المعلومات عنها بين معلوماتٍ حقيقيةٍ ترتكز على أسس علمية عقائد دينية وأساطير خيالية وأكاذيب مختلقة حيرت الباحثين منذ أن ذاع صيتها لأول مرة في تسعينيات القرن العشرين، وحتى اليوم حيث لا يزال هناك الكثيرون من المدافعين عن هذه الواقعة على اعتبار أنها حقيقة تاريخية أو أنها عقيدة إيمانية لا يجوز التشكيك في أصالتها.

***



بداية الأسطورة:

وتبدأ قصتنا في عام 1989 عندما أعلنت شبكة TBN المسيحية المشهورة في أحد برامجها عن قصة عجيبة جدًّا مفادها أن في الاتحاد السوفييتي كان هناك مشروع منذ السبعينيات لحفر بئر عميقة جدًّا إلى أبعد النقاط في القشرة الأرضية في سيبيريا، وذلك للأغراض العلمية، وأن هذا الفريق العلمي كان بقيادة الدكتور أزاكوف.



دكتور أزاكوف (المزعوم)

وتستطرد القصة، أن الحفر في هذه البئر وصل إلى عُمقٍ لم يخطر على قلب بشر حيث وصل إلى 14.5 كلم، وعند هذا العُمق وصل الحفار إلى منطقة كالجيب الفارغ، فظنَّ فريق العمل أنهم وصلوا إلى أحد مخازن الصهارة، فقاموا بإنزال ميكروفونات مقاومة للحرارة لتسجيل الأصوات في القاع ثم كانت المفاجأة!

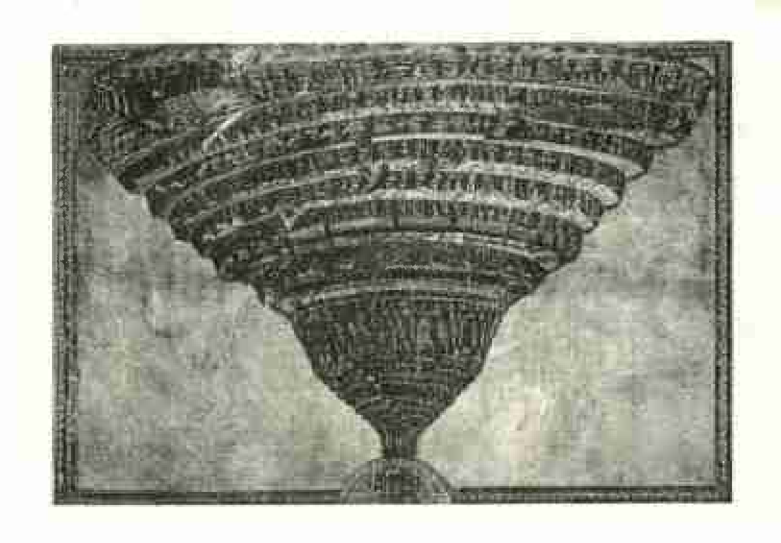
كانت الميكروفونات تنقل لفريق العلماء أصواتًا مُرعبةً لآلاف البشر يصرخون بأصواتٍ مُرعبةٍ كما لو كانوا يعانون أشد العذاب!

تقول القصة إن الأصوات أصابت العلماء بالرُّعب والذهول حتى إن بعضهم أُصيب بالإغماء.

وتقول القصة على لسان الدكتور أزاكوف (الشيوعي) إنه لا يؤمن بالجنة ولا الكتاب المقدس، ولكنه بصفته عالمًا أصبح يؤمن بالجحيم!

بالطبع فقصة كهذه طارت بها شبكة دينية شهيرة ك TBN حيث إنها شهادة من (شيوعي) وهذا أمر مهمٌّ جدًّا؛ ولأن القصة توافق إلى حدٍّ كبير المعتقد الكتابي عن الجحيم وعذاب الخطاة، وفقًا للتعاليم الكتابية المسيحية.

ومن المعروف أن روايات الكتاب المقدس عن الجحيم في أعماق الأرض قد ألهمت أحد أهمِّ الأعمال الأدبية في التاريخ، ألا وهو الكوميديا الإلهية لدانتي، وبخاصة الجزء الأول (الجحيم)، حيث تخيل دانتي رحلة الى الجحيم في قاع الأرض المقسم إلى طبقاتٍ، يتفاوت فيها العذاب والمعذبون من طبقةٍ إلى أخرى وصولًا إلى مركز الأرض حيث يقبع الشيطان.



خريطة لجحيم دانتي كما تخيلها بوتشيلي

ذاعت القصة ذيوعًا كبيرًا بعد هذا، وصارت حديث المهتمين بهذا الشأن بين مصدقٍ ومؤيدٍ للقصة وبين متشككٍ ومكذب حتى كان عام 1997 عندما اتصل أحدُ الأشخاص على قناة TBN المسيحية وقال إن عمه كان يعمل مع الدكتور أزاكوف في البئر العميقة بسيبيريا وأنه صدق على هذا الكلام، وأنه أعطاه تسجيلًا صوتًيا لما سجلته المايكروفونات ذلك اليوم، وأرسل هذا الشخص التسجيل إلى القناة التي أذاعته بدورها.

يمكن للقارئ سماع التسجيل بنفسه بالبحث في شبكة الإنترنت وسيجده متوفرًا بسهولة شديدة تحت عنوان (أصوات المعذبين تحت الأرض).

القصة لاقت رواجًا كبيرًا في أوساط المتدينين المسيحيين بل في بعض الأوساط الإسلامية أيضًا وأيد هذه القصة مثلًا الشيخ عبد المجيد الزنداني العالم اليمني.

بعد ذلك أُضيفت بعض الإضافات المهمة للقصة عن شهادة لبعض العاملين في البئر يقولون إن كائنًا ضخمًا يُشبه الخفاش، خرج من البئر ذلك اليوم مطلقًا دخانًا كثيفًا ثم طار واختفى في السماء!

***

الحقيقة:

قام بعض الباحثين بمحاولة تقصي أثر القصة من مصادرها حتى يتحققوا من أصالتها، فعادوا إلى المصدر الأول للقصة ألا وهو قناة TBN لمعرفة من أين لهم بهذه القصة، فعرفوا أن مُعدَّ البرنامج أخذ القصة من إحدى الصحف العلمية الفنلندية ذائعة الصيت هي Ammenusastia

وبالبحث والتحري تبين أن هذه الجريدة ليست جريدة علمية، وإنما هي جريدة تبشيرية، وبسؤالها أفادت أنها أخذت هذه القصة من باب القصص الخيالية في جريدة أخرى اسمها ETELA SUOMEN SANOMAT التي تنشر قصصًا خيالية من إبداعات قُرائها، وبسؤال الجريدة قالت إن هذه القصة مُقتبسة من قصة أخرى في جريدة تهتمُّ بالظواهر الخارقة اسمها VAELTAJAT وبسؤال الجريدة أفادوا بأنها

مأخوذة من جريدة أخرى تابعة لما يُسمى اليهود المسيحيين.. ولكن حين تم البحث عن هذه الجريدة لم يجدوا شيئًا!

فهذا المصدر الأخير غير موجود، ولم يكن موجودًا في يوم من الأيام، وبذلك يتبين أن القصة من الأساس مُفبرَكة!

ولكن ماذا عن التسجيل الصوتيّ؟

***

حقيقة التسجيل الصوتي :

تبيَّن فيما بعد أن هذا المقطع الصوتيّ مقتطع من مشهد من فيلم رعب أُنتج سنة 1972 بعنوان بارون الدم بعد إضافة بعض المؤثرات الصوتية عليه، واستطاع خبراء الصوتيات أن يُثبتوا تزيف الشريط وتلفيقه، حيث إن كثيرًا من مقاطعه تم تكرارها بنفس تماثُل الموجات الصوتية.



بوستر فيلم بارون الدم عام 1972

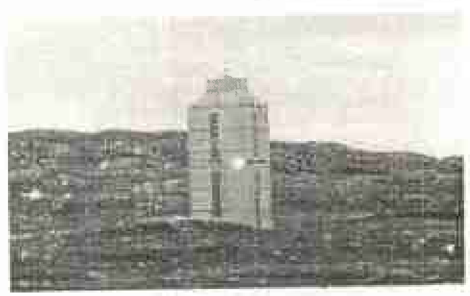
ولكن يبقى هنا سؤال مُهم.. هل القصة ككل مُفبركة من الخيال ولا يوجد لها أي أثرٍ من الحقيقة؟ ألا يوجد أي ملمح يُشير إلى سبب تقبُّل الكثيرين لهذه القصة رغم صعوبة تصديقها؟

الحقيقة إن الموضوع له أصل، وأصل حقيقي وعلمي أيضًا!

***

أصل الأسطورة :

الحقيقة أن هناك أصلًا هو ما استوحيت منه هذه الأسطورة ففي عام **1965** قرر الاتحاد السوفييتي البدء في مشروع علمي لاستكشاف القشرة الأرضية، وتم البدء في هذه البئر الاستكشافية في شبه جزيرة كولا على الحدود مع فنلندا والنرويج في أقصى الشمال الغربي من الاتحاد السوفييتي وليس في سيبيريا في شرق الاتحاد السوفييتي كما في أسطورة بئر الجحيم، وسُمي المشروع (بئر كولا العميقة)



صورة لبئر كولا

كان الهدف المحدد للبئر هو الوصول إلى عمق 15 كيلومترًا في القشرة الأرضية (يبلغ سمك القشرة الأرضية حوالي 40 كيلومترًا تقريبًا).

في عام 1979 وصلت بئر كولا إلى رقم قياسي جديد حيث تجاوز أعمق بئر استكشافية في العالم الموجود بأوكلاهوما الأمريكية عمق 9563 مترًا!

ثم وصل في عام 1983 إلى عمق 12 كيلومترًا، ووصل العُمق النهائي للبئر عام 1989 إلى 12262 كيلومترًا بسبب انهيار أجزاء من تربة البئر وإعادة حفرها مرة أخرى.

في عام 1992 توقّف العمل تمامًا في البئر وتم إزالة آلات الحفر منها، ولا تزال البئر موجودة حتى اليوم بعمق 12262 كيلومترًا بدون الأجهزة وآلات الحفر وتوقّف المشروع تمامًا برغم عدم الوصول إلى الهدف المنشود 15 كيلومترًا!

سرت بعض الشائعات عن أسباب توقُّف العمل في بئر كولا من ضمن هذه الإشاعات إشاعة تتكلم عن شياطين وعفاريت أوقفت الحفر، وإشاعة أخرى عن سماع أصوات بشرية تحت الأرض، ولكن علماء المركز البحثي في كولا قالوا إن هذه إشاعات غير صحيحة، وأن السبب الأساسي هو أن الدعم المالي للمشروع توقّف بعد سقوط الاتحاد السوفييتي في أوائل التسعينيات.



طابع تذكاري لتخليد ذكرى بئر كولا العميقة

خاتمة

مما سبق يمكن تلخيص القصة كالتالي:

بعد إيقاف العمل في بئر كولا العميقة سرت إشاعة مفادها أن سبب إيقاف العمل في البئر هو الشياطين والعفاريت وأصوات بشرية في باطن الأرض!

تلقف هذه القصة شخصٌ ما في فنلندا — لاحظ أن قصة بئر كولا الحقيقية كانت على الحدود مع فنلندا - واسع الخيال فاختلق قصة عن بئر عميقة أخرى في سيبريا بقيادة دكتور وهمي اسمه أزاكوف وعثورهم على الجحيم وتسجيل أصوات المعذبين!

تلقفت تلك القصة بعض الجرائد الفنلندية المهتمة بالخوارق والظواهر الغريبة!

شخص ما قرأ القصة فصاغها في شكل قصة أدبية وأرسلها لمجلة أخرى تنشر أعمال القراء!

مجلة تبشيرية فنلندية تقتبس القصة عن مجلة الخوارق وتصوغها بشكل إيماني!

شبكة TBN التبشيرية تأخذ القصة وتذيعها كنوع من ترسيخ اليقين بوجود الجحيم باعترافات علماء شيوعيين ووافقهم على ذلك الكثيرون!

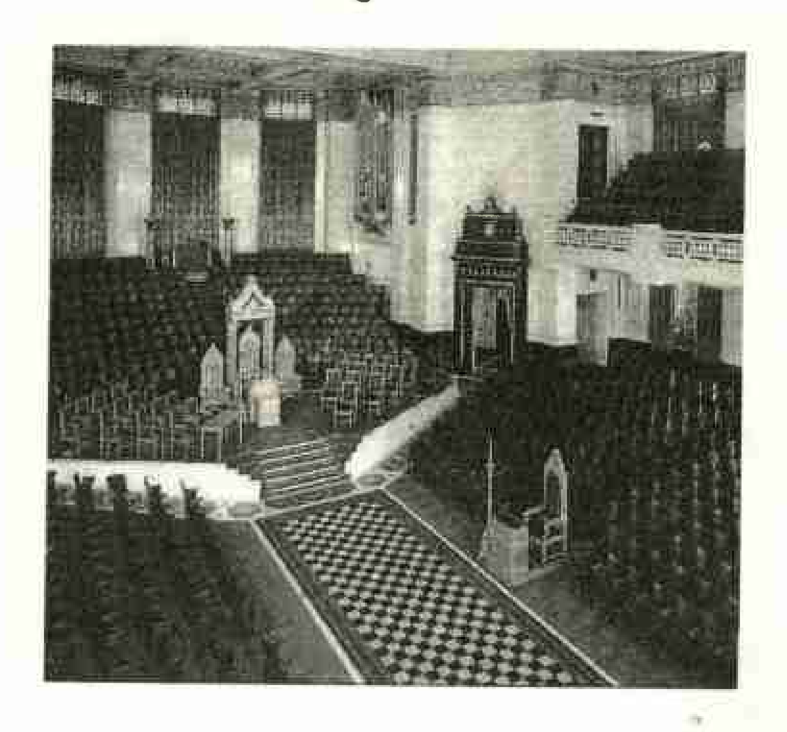
بعض البهارات الأخرى للقصة كقصة الخفاش الذي ينفث الدخان!

شخص ما يعطي قبلة الحياة للقصة بصنع ملف صوتي مأخوذ من أحد أفلام الرعب وإضافة مؤثرات صوتية عليه!

وختامًا أذكركم بما قلته سابقًا: ليس لديَّ مانع أن أصدق أي شيء ولكن عليك أن تعطيني على ذلك دليلًا!

***

الماسونية





كم مرة سمعت هذه الكلمة (الماسونية) ؟

ربما سمعتها كثيرًا، وكانت تترك داخلك شعورًا غير مريحٍ، وربما كنت لا تعرف سببًا لهذا إنما هو شيء مغروس في وعيك الباطن لا تدري سببه.. أو ربما لمقالة قرأتها أو برنامج وثائقي أو حتى لبرنامج ساخر ينتقد بعض المؤمنين بنظرية المؤامرة.

لكن ما حقيقة الماسونية بالفعل؟ ولماذا تترك هذا الشعور السلبي بداخلك؟

عندما عقدتُ العزم على الكتابة عن هذا الموضوع، وبدأتُ في جمع المادة التي احتاجها من كتب ومقالات ومادة فلمية فوجئت بطوفان وسيل منهمر وبحر خضم من المعلومات التي يسيل لها لعاب الكاتب، وبعد التقميش بدأت التفتيش، فوجدتُ أن كثيرًا من هذه المعلومات ما هي إلا زبد رابٍ ما يلبث أن يذهب جفاء ولا يمكث في الأرض إلا قليلًا مما ينفع الناس.

واكتشفت أن كثيرًا من هذا الزبد هو من وضع الماسون أنفسهم، والبعض كان يسب ويلعن في الماسون ويندد بكثير من طقوسهم، وما هذا إلا ليشغل الناس بقشور ويبقى اللُّب محفوظًا مصونا.

ربما يفاجأ من سيقرأ هذه الدراسة بما سيقرؤه، وربما لو عرف بعض الأسماء التي ستذكر فيها لاتهم كاتبها بالجنون أو على الأقل بالجهل، فستقرأ في هذه الدراسة أسماء رؤساء مشاهير أمثال (جورج واشنطن – جفرسون – بنجامين فرانكلين – ترومان – جورج بوش الأب والابن – بيل كلينتون – وينستون تشرشل – توني بلير – بيرلسكوني – الخديوي توفيق – مصطفى كمال أتاتورك – الملك حسين – الملك عبد الله بن الحسين)

ستقرأ أسماء علماء ومفكرين وفلاسفة أمثال (فولتير – جان جاك روسو – موتسارت – بتهوفن – كارل ماركس – أوسكار وايلد – جمال الدين الأفغاني – محمد عبده– جرجي زيدان)

ستقرأ أسماء منظمات وأخويات عجيبة وغريبة أمثال (القوة الخفية– أبناء الأرملة – فرسان المعبد – النادي البوهيمي – البلدربرج – الطبقة المستنيرة – الجمجمة والعظام – أخوية صهيون – عبدة الشيطان – الروتاري – الليونز– جمعية الحمير)

كان من المفترض أن تكون هذه الدراسة مختصرة، ولكن لا مناص من التوسع فيها لضخامة الموضوع وتشعُّبه، والحقيقة فكل ما سأورده هنا موجود ومتناثر في عشرات الكتب والدراسات، وليس لي فضل إلا جمع هذه الشذرات المتناثرة وترتيبها وإعادة سردها بطريقة أتمنى أن تكون سلسة ويسيرة لا تتشتت معها الأذهان أو تمل من قراءتها العيون.

***

ما هي الماسونية؟.

(أكبر حيلة فعلها الشيطان هي إقناعنا أنه غير موجود)

تُفتح الأبواب الضخمة ليظهر خلفها صفان متوازيان من الرجال الذين تبدو عليهم معالم الثراء والنفوذ، يرتدون حُللًا فاخرة موحدة ذات طابع احتفالي ومآزر طقسية غريبة مزركشة بخطوط تشكل فيما بينها حرف **M** الإنجليزي، يتقدمون إلى داخل ممر طويل يبدو ممتدًّا إلى ما لا نهاية أرضية الممر عبارة عن بلاطات سوداء وبيضاء كرقعة شطرنج تمتدُّ إلى مدى البصر.



بعض الماسون في ملابسهم الطقسية

ويتقدَّم الصفوف رجل يرتدي ذات الزي وإن تميز عنهم بحمل عصا ذهبية يعلوها رأس يبدو كالصولجان وراح يتكئ عليها أمام الصفوف، وفي نهاية الممر تُفتح أبواب جديدة إلى قاعة ضخمة تمتلئ بمقاعد كما لو كانت

قاعة مسرح وفي نهاية الممشى الشطرنجي كرسي عملاق مُذهَّب يتقدم هذا الذي يقود المسيرة إليه ليجلس فوقه، في حين يجلس الباقي على مقاعدهم في المسرح، الكرسي الذي يجلس عليه زعيم المجموعة يعلوه علامة رمزية تتكون من فرجار ومسطرة ضبط الزوايا يتوسطها حرف G الإنجليزي.



الشعار الماسوني الشهير

يُشير المعلم الأعظم بيده فتُفتح الأبواب ليدخل اثنان من الماسون بزيهم الشهير، وفي وسطهم رجل معصوب العينين (رمز لأنه لا يزال يعيش في الظلمات) يلبس قميصًا مفتوحًا يظهر جسده العاري مقطع عند الكتف اليسرى وبنطالًا قد تعرت رجله اليسرى، وفي عنقه يتدلى حبل كالمشنقة



صورة لأحد طالبي الانضمام للماسونية



لوحة من القرن الثامن عشر تبين طقس قبول عضو جديد في الماسونية

يبدأ المعلم الأعظم بتلاوة بعض القوانين على مسامع الطالب الجديد ثم يضع طرف خنجر يلامس به صدر الطالب، ويخبره أنه إن أفشى سرًّا من أسرار الماسون يومًا، فكأنه يقفز إلى الأمام فيخترق الخنجر صدره فيكون قاتل نفسه بنفسه.. ولو فكر يومًا في الهرب وترك الماسونية، فكأنما يهرب إلى الخلف فيُشدُّ الحبل حول عنقه ليخنقه فيكون قاتل نفسه بنفسه ثم في النهاية يأمره فيخلع العصابة عن عينيه (رمز لأنه أصبح ينعم بنور الماسونية).

إن ما وصفتُه الآن هو ربما كل ما يعرفه العوام عن الماسون، ربما من فيلم وثائقي أو كمعلومة قرأها في كتاب أو جريدة.. شيء ما أشبه بالطقوس الاحتفالية، قوم لهم بعض العادات التي قد تبدو غريبة، ولكن من قال إن العالم لا يمتلئ بالأشياء الغريبة، فلماذا التركيز على الماسون؟ إنهم لا يبدو عليهم أنهم خطرون، كما أن أهدافهم المعلنة مطمئنة جدًّا، فهم

مجموعة من البشر من أمم شتى، لهم هدف واحد سامٍ، هو نشر السلام والحرية والإخاء والمساواة وكل القيم النبيلة.. فلماذا إذًا هذا الهوس والخوف منهم؟

لماذا نجد مثلا الأزهر يصدر فتوى كهذه:

(أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف -برئاسة رئيس الفتوى في الأزهر الشيخ عبد الله المشد- بيانًا حول الماسونية والأندية التابعة لها مثل الروتاري والليونز وحكم الانتماء إليها، فأجابت لجنة الفتوى بالآتي: يحرُم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها، وواجب المسلم ألا يكون إمعة يسير وراء كل داعٍ ونادٍ، بل واجبه أن يمتثل لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (لا يكن أحدكم إمعة يقول : إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم)، وواجب المسلم أن يكون يقظًا لا يُغرر به، وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم، ولها مقاصدها وغاياتها العلنية، فليس في الإسلام ما نخشاه ولا ما نخفيه.)

ربما كان أسباب الريبة الأساسية في الماسونية نابعة من طبيعتها السرية وبحار الرموز التي تشفر كل شيء يرتبط بها بطريقة مريبة تجعل أي عاقل يتساءل عن السبب في كل هذه السرية التي تصل لقتل من يفشي الأسرار في منظمة تعلن أن كل أهدافها هو السلام العالمي!

لنبدأ أولًا بتعريف الماسونية من حيث المصطلح اللغوي ومن حيث المعنى الفعلي.

أولًا التعريف اللغوي للكلمة:

الكلمة تتكون من مقطعين في الإنجليزية: فري.. وهي تعني الحر

وماسون.. وتعني صاحب الحرفة.. واصطلح أن تكون الحرفة هي البناء.

لذا فمعنى الكلمة هي.. البناؤون الأحرار.

ولكن بناؤون لأي شيء؟ وإذا كان معظم الماسون في العالم هم من كبار الساسة ورجال المال والفنانين وصفوة المجتمعات وليس بينهم وبين حرفة البناء علاقة فما معنى البنائين؟؟.

للإجابة عن هذا السؤال سوف نبدأ بطرح تساؤل مهمٍّ: ما أهداف الماسون؟

بالطبع فأنت لن تجد الإجابة الحقيقية عند الماسون لأن أهدافهم المعلنة هي ما سبق وسردته من نشر السلام والمساواة وغيرها من الأشياء التي ثبت عبر العصور أنهم أبعد ما يكونون عن تحقيقها.

ولكن الإجابة ستأتيك من علامة هولندي شهير اسمه راينهارت دوزي الذي عرف الماسونية بأنها (جمهور كبير من البشر من جنسيات وثقافات مختلفة يعملون جميعًا من أجل هدف واحد لا يعرفه أكثرهم)، وهذا الهدف كما يرى الخبراء هو إعادة بناء هيكل سليمان المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى.

فكل الماسون على وجه الأرض يعملون لهذه الغاية والتي ربما لا يعرفونها، بل هم أداة لتنفيذها دون علم منهم.

هل عرفت الآن لماذا يتسمون بالبنائين؟

نعم أنهم يعتبرون أنفسهم البنائين هيكل سليمان في المستقبل القريب وفق مخططاتهم.

هل ما قلته الآن تخريف؟

بالتأكيد! فوسائل الإعلام وصناعة العقول والأفكار تسيطر عليها الماسونية بشكل كامل حتى صار أي منتقد للماسونية هو مخرف ولديه هواجس ووساوس قهرية، ومروج لنظرية المؤامرة، وكثير من هذه الاتهامات الجاهزة التي تترك من يجهر بحقيقتهم يصرخ في الفلاة دون أن يعيره الناس اهتمامًا لأنهم اقتنعوا بأنه مخرف.

إن الغالبية العظمى من البشر لا يعرفون شيئًا عن الماسونية، وأكثر من نصف الناس لا يعرفون عن الماسونية سوى اسمها، ومن يعرفون عن الماسونية لا يعرفون إلا ما تزرعه وسائلهم الإعلانية في عقولهم؛ لذا فمن الطبيعي أن تكون الماسونية عالمًا خفيًّا عن الأنظار لا يلتفت إليها المراقب ولا تقتحمها العيون، وكما قيل سابقًا (أكبر حيلة فعلها الشيطان هي إقناعنا أنه غير موجود).

حسنًا، اسمع مني حكاية الماسون وبعد أن انتهى من السرد، فإن لم تقتنع بما سأسوقه لك من أدلة فلتتهمني بالخبل كما تشاء.

هل أنت واثق أنك مستعدٌ لما ستعرفه الآن من معلومات؟

إن كنت مستعدًا فتعالَ معي نتجول في ثنايا هذا اللغز التاريخي ونستكشف أسراره.



اليهود والماسونية:

((كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأرض فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)) المائدة 64

نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ومحركي الفتن فيه وجلاديه

دكتور / أوسكار ليفي

***

مَن يحاول أن يفهم الماسونية بمعزل عن اليهود، فكأنما يسير في ظلمات يتخبط يمينًا ويسارًا أو كالتائه في صحراء شاسعة، وكلما رأى أملًا على البُعد جرى نحوه كسراب بقيعة يحسبه من شدة ظمئه أنه ماء يروي به حيرة عقله حتى إذا أتاه لم يجده شيئًا فازدادت حيرته وازدادت جهالته.. ولكن حين تدرس الماسونية في ضوء علاقتها باليهود تتحول الظلمات إلى نور وترى طريقًا واضحًا ونجمًا هاديًا يرشدك للطريق الذي عمي عنه من عمي.

يقول الحاخام إيزاك وايز في مقالة له نُشرت سنة 1866 في مجلة الإسرائيليين بأمريكا:

(إن الماسونية مؤسسة يهودية، فتاريخها ودرجاتها وتعاليمها ورموزها وكلمات السِّرِّ فيها وتفسيرها كلها يهودية من ألفها إلى يائها)

والغريب أن الماسونية تنفي صلتها بالأديان وتعتبر نفسها جمعية اجتماعية ليست قائمة على توجه ديني، ولكن لسان الحال يُغني عن لسان

المقال، فكما قال الحاخام إيزاك فكل شيء في الماسونية مُغطًى ومصبوغ بالطابع اليهودي بدرجةٍ مُريبة، حتى وكأنك وأنت بداخل محفل ماسوني كأنك داخل كنيس يهودي.

يقول الماسوني من الدرجة 33 (أعلى درجة في الماسونية) ومؤرخ الماسونية الاشهر البرت ماك كي في كتابه رموز الماسونية: (كل محفل هو في حقيقته - وكما يجب أن يكون - رمز لهيكل اليهود، وكل أستاذ على كرسيه هو ممثل لملك اليهود، وكل ماسوني هو تجسيد للعامل اليهودي).

وتصميم المحفل الماسوني هو مُحاكاة لتصميم الهيكل، فأول ما يُقابل الداخل إلى القاعة المقدسة أو حرم المحفل الماسوني العمودان (جاكين) و(بوعز) على جانبي المدخل.



العمودان جاكين وبوعز في مقدمة الرموز الماسونية



لاحظ حرفي B وJ أسفل العموديين

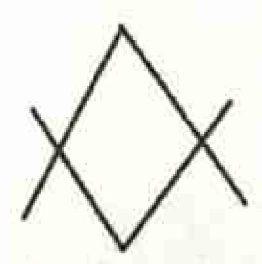
وبوعز وجاكين عمودان من نحاس صنعهما (حيرام أبيف) عريف البنائين في هيكل سليمان، وأقامهما في مدخل رواق الهيكل، وهما عامودان ذوا صفة محددة موصوفة في التوراة.. ولا يكون المحفل ماسونيًّا إلا بمطابقة عمودية لهيئة بوعز وجاكين الموصوفة في الإصحاح السابع من سفر الملوك الأول، وفي الإصحاح الثالث من سفر إخبار (هل هي أخبار أم إخبار، المدقق) الأيام الثاني.

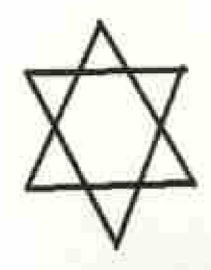
ومن الشروط التي يجب توافرها في المحفل ليصبح قانونيًّا أن يكون قُدس الأقداس به مطابق لقدس الأقداس بالهيكل، فيجب أن تكون الأرضية على شكل نجمة داود السداسية.

كما أنه لا يخفى على كل ناظر مطابقة الرموز والطقوس الماسونية بالرموز الطقوس اليهودية.

وتؤكّد الموسوعة اليهودية هذا المعنى فتقول (إن اللغة الفنية والرموز والطقوس المختلفة للماسونية مليئة بالنماذج والمصطلحات اليهودية).

وهو حق لا مِرية فيه، فكل رموز الماسونية وطقوسها هي تنويع إما بالتصريح أو بالتلميح على رموز وطقوس يهودية صرفة، ويكفي للتدليل على ذلك أمثلة واضحة كشعار الفرجار ومسطرة الزوايا مثلًاوالتي ما هي إلا تنويع واضح على نجمة داود السداسية الشهيرة

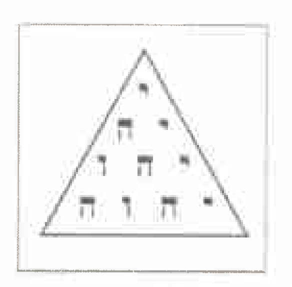




رمز آ خر من أشهر رموز الماسونية الذي لا يخلو منه محفل ماسوني الذي وُضع بعد ذلك على أقوى عملة في العالم في عصرنا الحديث الدولار.. رمز العين الواحدة التي ترى كل شيء.. يقول عنها رالف أبرسون في كتابه (النظام العالمي الجديد) : (رمز وجود الماسونية في كل المجتمعات وتوغلها في كل الطبقات واطلاعها على ما يُفعل وما يُقال، وقُدرتها على عقاب من اطلع على أسرارها وأفشاها من الماسون)، تُمثل دومًا كعينٍ وحيدة بداخل شكل مثلث يخرج منها أشعة النور.. ستجد

ذات الشعار في اليهودية إلا أنه بدل العين الرائية ستجد اسم الإله الأعظم ((يهوه)) بنفس الطريقة ونفس أشعة النور الخارجة منه.

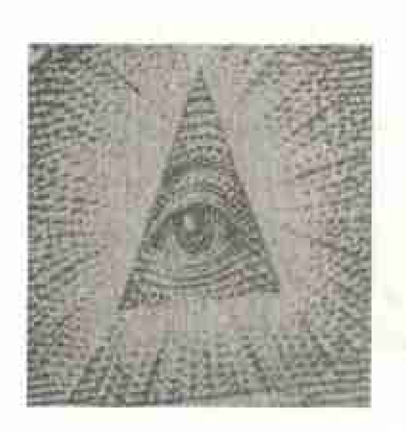




اسم الإله (يهوه) في مثلث وتخرج منه أشعة النور

وبالمناسبة فلأن اليهود يُحرِّمون تحريمًا تامًّا نُطق اسم الإله إلا للحبر الأعظم في قُدس الأقداس فقد كانوا يطلقون عليه اسمًا آخر هو (عين صوف) التي صارت بعد ذلك العين الرائية في الماسونية، ثم عين لوسيفر فيما بعد.





العين الرائية أو عين لوسيفر تخرج منها أشعة النور،

بل يزداد الأمر حتى أن نشرة صادرةً عن لجنة الدفاع عن حقوق اليهود في نيويورك سنة 1927 تقول:

(الماسونية مؤسسه قائمة على اليهودية، فلو أُزيلت تعاليم اليهودية من الطقوس والشعائر الماسونية، فلن يتبقى منها شيء)

والمُنتسب الحديث إلى الماسونية لا يعرف ما ينتظره فيها، فهو لا يعرف أنها مجرد واجهة براقة لليهودية ما تلبث أن تُكبِّله بأغلالها، فلا يستطيع منها فكاكًا، ثم يترقى في هذا السلك درجة بعد درجة، وفي كل درجة ينسلخ من معتقده شيئًا فشيئًا حتى إذا صار في المرتبة العظمة الدرجة 33 فإنه يُنشر أمامه سجلٌ به شجرة نسب، ويخبره الأستاذ الأعظم لمحفل التكريس أنه ينحدر من نسل بني إسرائيل ويقول له: (لم تكن أنت وأبوك وجدك تعلمون أنكم من شعب الإله المختار، وها قد سجلنا اسمك في سجل السبط الثالث عشر)

وبنو إسرائيل كما هو معلوم اثنا عشر سبطًا فقط، ولكن الماسون يعتبرون أنفسهم السبطَ الثالث عشر، خدمَ صهيون المُطيعين.

تلك هي الحقيقة التي يعرفها الجميع ولا يتحدث بها أحد.. الماسونية ما هي إلا واجهة جديدة لليهود وأداة من أدواتهم التي تقوم لهم بالعمل كله ليحظى اليهود في النهاية بالغنيمة كاملة.

والقارئ لبروتوكولات حكماء صهيون التي هي الخطة اليهودية للسيطرة على العالم يجد تأكيدًا متكررًا في أكثر من موضع أن المحافل

الماسونية هي وكلاء اليهود التي تقوم بالعمل لضمان سيطرة اليهود على الدول، وإليكم هذا المثال من البروتوكول الرابع.

(من ذا وماذا يستطيع أن يخلع قوة خفية من عرشها؟ هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن. إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا، ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيرًا)

إنهم يعلنونها صراحةً ودون مواربة أن اليهود هم حكومة العالم الخفية التي يستحيل إزالتها ما دام ليس لهذه القوة أبعاد منظورة يمكن قياسها، ووسيلتهم وذراعهم الطُولى في هذا المخطط هو الماسونية.

وفي موضع آخر نجدهم يؤكدون على هذا المعنى قائلين في البروتوكول الحادي عشر: (لقد أوحينا إلى الأمميين هذه السياسة دون أن ندعهم يدركون مغزاها الخفي، وماذا حفزنا على اختيار هذا الطريق للعمل إلا عجزنا ونحن جنس مُشتَّت عن الوصول إلى غرضنا بالطرق المستقيمة، بل بالمراوغة فحسب، هذا هو السبب الصحيح والأصل في تنظيمنا للماسونية التي لا يفهمها، أولئك الخنازير من الأمميين، ولذلك لا يرتابون في مقاصدها، ولقد أوقعناهم في كتلة محافلنا التي لا تبدو شيئًا أكثر من ماسونية كي نذر الرماد في عيون رفقائهم)

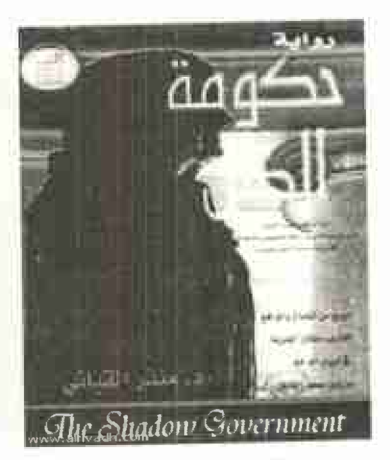
بل الأدهى أنك ستجد في آخر البروتوكولات هذه العبارة: (وقّعه ممثلو صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين) وهي أعلى درجة في درجات الماسونية.

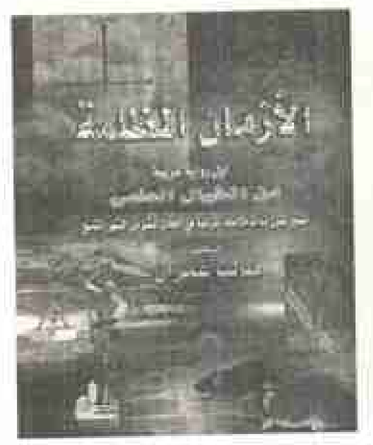


بروتوكولات حكماء صهيون

إذًا فالماسونية التي نحن بصدد دراستها التي يعتبرها البعض (حكومة الظل) كما أسمى الدكتور منذر القباني روايته التي تعتبر من أروع ما كتب في الأدب العربي عن الماسونية.

أو هي جالبة (الأزمان المظلمة) إلى العالم كما يظهر من عنوان رواية الدكتور طالب عمران ما هي إلا صنيعة قوة أعلى وأعظم وما هي في الحقيقة إلا القفاز الذي يستخدمه المجرم لإخفاء بصمته.





والآن بعد توضيح الصورة للقارئ وفي ضوء ما فهمنا من علاقة اليهود بالماسونية، فلنتعرف معًا إلى تاريخ الماسونية.

***

مولد الماسونية وتاريخها:

((ثم خرج المسيح ومضى من الهيكل، فتقدَّم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل فقال لهم: أما تنظرون جميع هذه؟ الحق أقول لكم إنه لا يترك هاهنا حجر على حجر لا ينقض)) (إنجيل متى – 24 / 1–2)

***

تعتبر بداية الماسونية أحد الأسرار التاريخية التي لن تجد لها إجابة حتى لدى الماسون أنفسهم، فكل محفل وكل منظر من منظري الماسون لديه رأي وعنده نظرية، فمنهم يرجع بالماسونية إلى آدم عليه السلام،1 ومنهم من يرجع بها إلى إبراهيم عليه السلام أو موسى عليه السلام فترة الخروج من

مصر، وهناك من يرى أن الهيكل هو أول محفل ماسوني، وأن النبي سليمان كان معلمه الأعظم الأول.

اختلفت الآراء ما بين المبعدين لتاريخ الماسونية لأزمان قديمة للغاية وبين من يرى أن بداية الماسونية مع فرسان الهيكل في فترة الحروب الصليبية أو مع بداية تأسيس نقابة البنائين في إنجلترا عام 1717.

كل هذا التضارُب والاختلاف جعل بعض المؤرخين يصف تاريخ مولد الماسونية بقوله: (أما المولد فإن شهادة الميلاد مطموسة الحروف والأرقام مزركشة بالرموز المبهمة ومنقطة جوانبها بالأساطير؛ ولذلك فإن قراء تلك الشهادة على خلاف في تحديد الميلاد).

وبالطبع فتشوُّش المؤرخين وعدم معرفتهم الدقية بنشأة الماسونية هو بسبب السطحية الشديدة التي اتبعوها في بحثهم التاريخي، فنحن نرى جل المؤرخين يبحثون عبر التاريخ عن منظمة باسم الماسونية أو البنائين الأحرار، فلو لم يجدوا ذلك قالوا إن الماسون لا وجود لهم في التاريخ القديم.

وبالطبع فهذا منهج سقيم تشهد حياتنا المعاصرة بخطئه، ففي أيامنا هذه إذا تنبهت دولة لخطر الماسونية وقررت منعها فيها، فإن الماسونية ما تلبث أن تدخلها تحت مسمى جديد براق.. على سبيل المثال في مصر صدر قرار عام 1964 بتجريم الماسونية وإغلاق محافلها وحظرها في مصر.. ولكن الماسونية ما عدمت حيلةً، فعادت إلى مصر مرة أخرى تحت مُسميات جديدة مثل (أندية الروتاري) أو (أندية الليونز).



الروتاري



الليونز

لذا يجب على المتتبع لتاريخ الماسونية أن يبحث في ثنايا التاريخ عن المنظمات التي حملت نفس فكر الماسون وحملت أفكارها على اختلاف المسميات ليُعرفَ التاريخ الحقيقي للماسونية

حقًّا فإن أول ذكر للماسونية في التاريخ وأول وثيقة تاريخية باسم الماسونية صراحة كانت عام 1376 في محاضر مجلس العموم البريطاني حيث أثبتت فوز أحد أعضاء الجمعية الماسونية بمقعد في مجلس العموم كما أن المحافل الماسونية كانت منتشرة بكثره في إسكتلندا خلال القرن الخامس عشر قبل أن ينشأ أول محفل في بريطانيا عام 1717.

ولكن الماسونية كانت قبل هذه التواريخ موجودة بالأفكار والمبادئ وحتى بالطقوس وإن كانت في هذه الفترة تحت مسميات مختلفة، فستجدها قبل هذا باسم فرسان الهيكل وقبل ذلك بأسماء القوة الخفية وأبناء الأرملة.

***

أ- القوة الخفية

هي منظمة سرية نشأت في القدس عام 43 ميلادية ترأسَها هيرودس أكريبا الذي كان واليًا على القدس من قبل الرومان، وكان نوابه الاثنان (حيرام ابيود) و(مؤاب ليفي)، وكان هدف تأسيس الجمعية هو القضاء المبرم على دين عيسى ابن مريم عليه السلام الذي بعد أن رفعه الله إليه راحت تعاليمه تنتشر في بني إسرائيل وتسري فيه مسرى النار في الهشيم، وانضم لدعوته المئات ثم الآلاف، فأصبح يشكل خطرًا صريحًا على اليهود في أورشاليم، وكان السبب الأهم هو نبوءة تفوَّه بها النبي الناصري عليه السلام عن دمار الهيكل الذي تنبأ انه لن يبقى به حجر على حجر.

بدأت القوة الخفية كمنظمة تسعى للقضاء على المسيحية في مهدها، ثم أصبحت بعد ذلك تسعى للقضاء على سائر الأديان غير اليهودية وحماية الهيكل.. ولكن بما أن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن، فقد حدث ما أنبأ عنه المسيح عليه السلام.. دمرت أورشليم وفكك الهيكل حجرًا حجرًا على يد القائد الروماني تيطس في سنة 71 ميلادية بسبب ثورات اليهود على الإمبراطورية الرومانية وبعدها في سنة 135 ميلادية قام الإمبراطور أدريانوس بالتخلُّص منهم بالقتل والتعذيب وطرد اليهود من أورشليم ليعودوا إلى الشتات مره أخرى.

كانت هذه الواقعة هي نقطة التحول الرئيسية في منظمة القوة الخفية حيث لم يعد هناك هيكل لحمايته من الدمار، بل لم يعد هناك وطن أصلًا..

من هنا بدأت القوة الخفية تغير من استراتيجيتها مع الحفاظ على المبادئ المهمة (الهيكل المقدس – هدم الأديان).

***

ب– أبناء الأرملة:

إذا أطلقت هذه التسمية فلا معنى لها إلا الماسون، فهم يعتبرون أنفسهم امتدادًا لحيرام أبيف مهندس البناء في هيكل سليمان الذي كان ابن أرملة كما هو مذكور بسفر الملوك الأول

(أرسل الملك سليمان فأخذ حيرام من صور وهو ابن أرملة من سبط نفتالي، وأبوه رجل من صور صانع نحاس، وكان ممتلئًا حكمة وفهمًا ومعرفة في عمل كلِّ صنعة من النحاس، فوفد على الملك سليمان وعمل كلَّ صنعته) 1 ملوك (7– 13)

فكما بنى حيرام الهيكل الأول، فكذلك كل ماسوني هو حيرام الجديد ابن الأرملة الذي سيبني الهيكل المقدس.



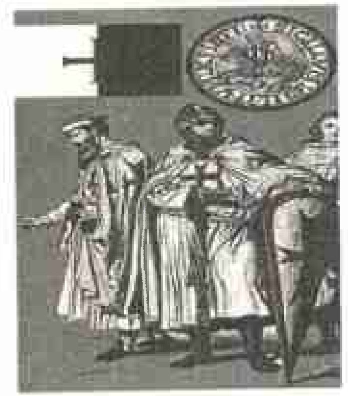
حيرام أبيف

تغيرت استراتيجية العمل لهم، فلم يعد بالإمكان القضاء على المسيحية التي صارت دين الدولة الرومانية، وصار أتباعها يملكون رقاب اليهود؛ لذا فكانت الاستراتيجية الجديدة تنصُّ على إذا لم تكن تقدر على القضاء على عدوك فلتجعله ينفذ لك أهدافك ويقضي على نفسه في ذات الوقت.. وهذا ما سيتم تفصيله عند الكلام عن وسائل الماسون في السيطرة على العقول والتلاعب بالأفكار.

في تلك المرحلة بدأ تغير جذري في الماسونية.. فلم تعد منظمة مغلقة على اليهود فقط كما كانت في مرحلة القوة الخفية بل تم فتحها على الأمميين من غير اليهود على أن يتم تفريغ المشترك من كل اعتقاد وملئه بالأفكار والمبادئ اليهودية والأهداف التي نشأت عليها القوة الخفية.. فأصبح لها في قلب العالم المسيحي - عدوها الأول - وجود وأعضاء يعملون من أجل أهدافها وتبدّى هذا واضحًا للغاية في فترة الحروب الصليبية مع الشكل الجديد للمنظمة التي كانت جُلها من الفرسان المسيحيين اسمًا وإن ظهر بعد ذلك أنهم كانوا أبعد ما يكون عن الدين.

***

ج – فرسان الهيكل.



يعتبر الكثير من المتخصصين في الماسونية أنها انحدرت أساسًا من فرسان الهيكل أو هي المؤسس الفعلي للماسونية.

فرسان الهيكل هي منظمة نشأت في القدس في زمن الحروب الصليبية بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس فتقدم تسعة من الفرسان برئاسة هيوجز دي بانز وأنشؤوا رهبنة وأقسموا على الدفاع عن الحجاج المسيحيين للقدس، وأسموا أنفسهم (الفرسان الفقراء للمسيح وهيكل سليمان).

ورغم تسميهم (بالفقراء) فهذا لم يكن صحيحًا بالمرة حيث اعترفت البابوية بهم وباركهم البابا برنارد فتدفقت المساعدات والهبات عليهم من كل حدب وصوبٍ، وتزايد عددهم بشكل مخيف حتى صار بالآلاف، وامتلكوا ضياعًا وقرًى بل مدنًا وقلاعًا في الأراضي المقدسة وفي أوربا كلها من فرنسا إلى إنجلترا إلى أراغون في إسبانيا للبرتغال، كانت أملاكهم وما يُجبى إليهم من أموال أكثر مما يدخل الخزينة الفرنسية على سبيل المثال.. كما تحكموا في النظام النقدي، وأصبحوا من كبار الماليين في أوربا حتى

قال عنهم المؤرخ هنري د. فانك: (لقد ظهروا على أنهم أتباع المسيح الفقراء وهذا، ما كان منافيًا تمامًا للحقيقة. يمكن لأي إنسان أن يراهم أغنى أغنياء أوربا وسادة المصارف الرئيسية من لندن إلى باريس موزعة بين فرسان المعبد : هوف أمير شامبانيا وألفونس أمير بواتيه وروبرت أمير أرتو ووزراء المال في حقبة جيمس الأول ملك الأراغون تشارلز ملك نابولي، وأيضًا المستشار الأول للملك لويس الثاني ملك فرنسا.. كل هؤلاء كانوا من فرسان الهيكل).

وكما تقول لنا المعلومات التاريخية لم يكن فرسان المعبد الذين أخضعوا كل أوربا إلى سيطرتهم تنظيمًا دينيًّا يخدم المبادئ المسيحية بأي حال من الأحوال، بل على العكس من ذلك جميع أعمالهم كانت عكس القيم الدينية تمامًا.. فبعد انتهاء الوجود الصليبي في الشرق عام 1291 عاد الفرسان إلى ضياعهم وأملاكهم في أوربا وهنا اكتشفت حقيقتهم وحقيقة ما يفعلونه بالخفاء.

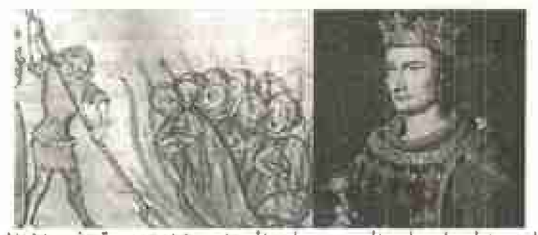
أصدر البابا كليمنت أمرًا عام 1312 بإلغاء منظمة فرسان الهيكل واتهامهم بالهرطقة والكفر.



البابا كليمنت

فلقد ظهر ما كان يخفيه الفرسان منذ عقود، وعُرف سر أسرارهم.. لقد اكتشف أن الفرسان الملقبين بأتباع المسيح.. كانوا في الحقيقة عبدة شيطان يتقربون بالعبادة لشيطان وثني قديم اسمه (بافومنت) ويقومون بفعل ممارسات وطقوس لاسترضائه من شذوذٍ وإهانة المقدساتِ وغيرها.

في نفس هذا العام شن الملك فليب الرابع الملقب بالجميل حربًا لا هوادة فيها على فرسان الهيكل، فقام بالقبض عليهم وصلبهم على الأخشاب وإضرام النار فيهم لينهي قرنين من سيطرقمم على أوربا.



الملك فليب الجميل على اليمين وعلى اليسار مشاهد حرق فرسان الهيكل

ولكن تلك لم تكن النهاية.. فحتى بعد حرق فرسان الهيكل وآخر أستاذ أعظم لهم وهو: (جاك دي مولية) فلا يزال حتى اليوم هناك منظمة

في الماسونية وطقس باسم جاك دي موليه وهو طقس شهير بأمريكا ويكفي أنه أخرج العديد من الشخصيات الشهيرة، ويكفي أن أحدهم كان رئيسًا لأمريكا، وأعني به الرئيس (بيل كلينتون).



الرئيس بيل كلينتون عضو منظمة (جاك دي مولية) الماسونية

نعم لقد انتهت منظمة فرسان الهيكل لكنها انتقلت للحياة بأسماء جديدة.. لقد وجدت في إسكتلندا أرضًا خصبة لها ولأفكارها ومبادئها، فانتقلت إليها، وهناك بدأت بالظهور من جديد للعلن، وهذه المرة تحت المسمى الذي سيرتبط بها حتى يومنا هذا ألا وهو الماسونية.

وكما سنعرف في الفصول القادمة عن درجات الماسونية وطقوسها، فستجد درجة من درجات الماسونية وهي الدرجة الثامنة عشرة، وهي درجة فارس الصليب الوردي حين يترقى العضو إليها، فالاحتفال الخاص بهذه الدرجة هي طقوس لعبادة الشيطان بافومنت.



طقس الترقي للمرتبة 18 والشيطان بافومنت محمول على أعناق الماسون

كذلك فقد وضع حبر الماسونية الأكبر (ألبرت بايك) طقسًا جديدًا في الماسونية، وقصره على الحاصلين على الدرجة 33، وهي الدرجة السامية، وأسمى ذلك الطقس (طقس لوسيفر) ولوسيفر هذا كما هو معلوم هو اسم الشيطان نفسه، كما ورد في سفر أشعياء بالتوراة.

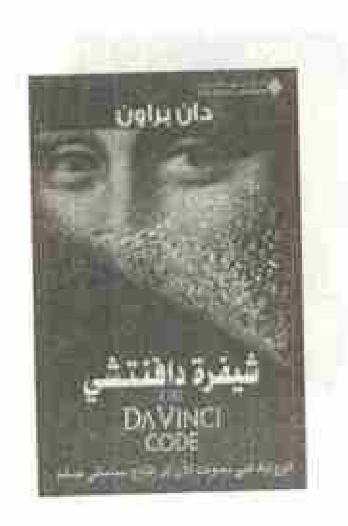
وهذا الطقس السِّري أخرج لنا شخصية شهيرة أخرى وهو رئيس آخر للولايات المتحدة الأمريكية، وأعني به الرئيس (رونالد ريجان).



ريجان ماسوني من الدرجة 33 وعضو بطقس لوسيفر

وأول انتشار للماسونية خارج إسكتلندا كان عندما تأسس المحفل الماسوني الأكبر في ذلك الوقت في لندن عام **1717** ومنذ هذا التاريخ عرف العالم الماسونية كتنظيم ومحافل معروفة علنيًّا، وإن ظلت طقوسها وأهدافها سريةً.

تعتبر رواية شفرة دافنشي للكاتب الأمريكي دان براون هي أفضل معالجة أدبية للعلاقة التاريخية بين فرسان الهيكل والماسونية، وإن كانت تحتوي على كثير من المعلومات الخيالية كالكلام عن أخوية (صهيون) وأنها منظمة قديمة ترتبط بفرسان الهيكل، ورغم أن هناك بالفعل أخوية بهذا الاسم فإنها حديثة نوعًا، فقد تأسست في ستينيات القرن العشرين، وليس لها صلة تاريخية معروفة بفرسان الهيكل، ولكنه أجاد دمج الحقيقة التاريخية بالخيال الروائي.



بعد هذه المقدمة الطويلة عن الماسونية وتطورها التاريخي يكون القارئ مستعدًّا للتعمُّق أكثر في الماسونية وسبر أغوارها.

في الجزء القادم من الدراسة سنتعمَّق أكثر في الماسونية، ونتعرف إلى درجاتها وطقوسها وبالأخص الطقوس الشيطانية وتمجيد الشيطان ثم انتشارها عالميًّا تحت مسميات متعددة كما سنتعرف إلى دور الماسونية في تأسيس أمريكا وإنشائها، لتكون أول دولة ماسونية في العالم كذلك سنتعرف إلى دور الماسونية في الازمات العالمية واختراقهم لمراكز اتخاذ القرار في العالم.. ثم ما الخطر الذي تشكله الماسونية على العالم؟ وما أهم ما قامت به في التاريخ؟ ثم سيتبقى لنا الجزء الأخير الذي يبحث في الماسونية العربية التي سنناقشها في الجزء الثالث.

***

ألغاز من الماضي

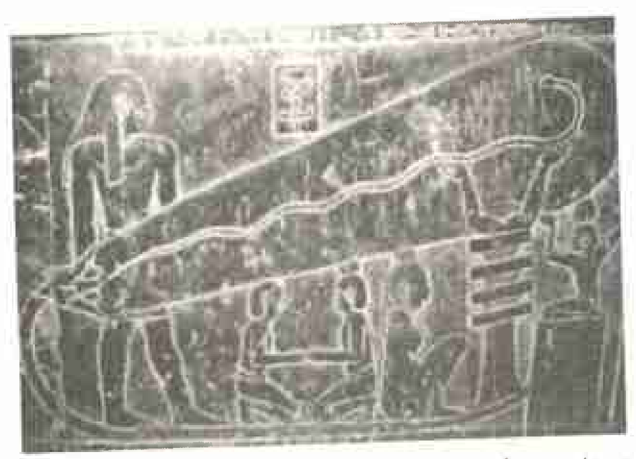


كثيرًا ما كنا نقرأ في الكتب التي تناقش ألغاز الحضارات القديمة عن مدى التقدُّم الحضاري الذي بلغته تلك الأمم القديمة حتى وصل الأمر ببعض الكتاب إلى الجزم بأن الفراعنة مثلًا اكتشفوا الكهرباء والطاقة النووية، وعن سفن الفضاء التي تجوب الفضاء والرحلات المكوكية إلى الأرض وغير ذلك من الأشياء التي تجدها في كتب (إريك فون دانكن) و(أنيس منصور).

ولهذا نشط الباحثون والأثريون للبحث عن أدلة أو آثار تقطع بالنفي أو الإثبات أن الحضارات السابقة وصلت لهذا الشأو الكبير في ركب التكنولوجيا، والحق أنهم عثروا على بعض اللوحات التي يراها المؤيدون لهذه النظرية أنها إثباتات لا يصل إليها شك، في حين اجتهد المعارضون للنظرية في إثبات أن هذه الشواهد عادية جدًّا ولها تفسيراتها التاريخية، وليست كما يظن المؤيدون.

وهكذا ينظر الطرفان إلى نفس المشهد، ولكن كلا منهما يراه وفقًا لقناعته رافضًا رؤية خصمه، وعلى هذا فنحن سنستعرض في هذه الدراسة المختصرة بعض وليس كل هذه الآثار، ونحاول أن نعرض وجهات النظر ونترك الحكم للقارئ..

الفراعنة والكهرباء :

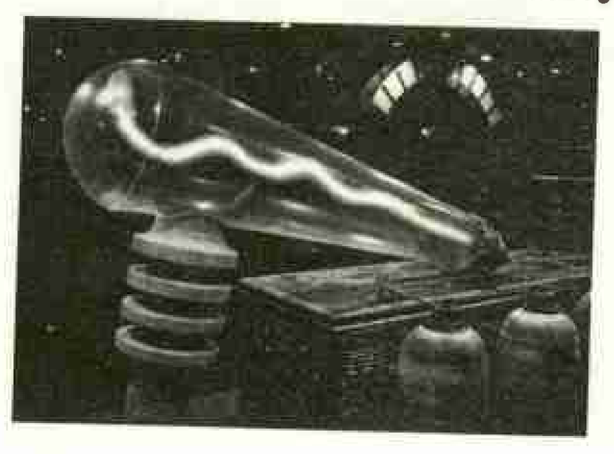


النقش الموضح مأخوذ من جدران معبد دندرة، وكما يبدو للناظر فهي تمثل ما يشبه مصباحًا كهربيًّا عبارة عن زجاجة كمثرية الشكل متصلة بقابس على شكل زهرة اللوتس، والمتصل بدوره بكابل يصل إلى عمود يشبه الملفات الكهربائية، وبداخل المصباح يوجد المعدن الذي يتوهج بالحرارة على شكل أفعى.

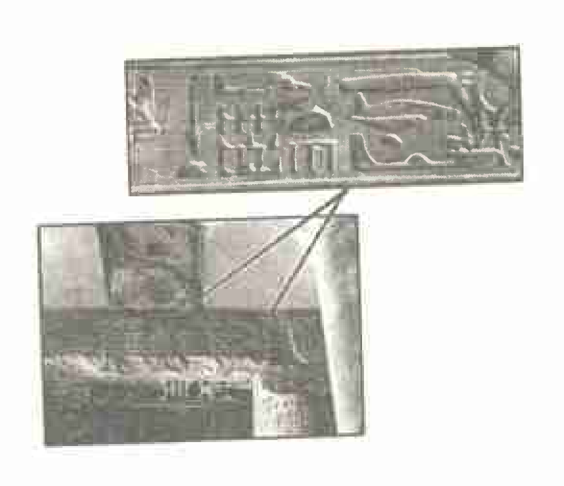
كل علماء الآثار اليوم لا يرون في هذا النقش إلا بعض الرموز الدينية والآلهة، ويرفضون بشدة فكرة المصباح الكهربي تلك ودليلهم على ذلك أن النصّ الهيروغليفي لا يتحدث عن مصباح أو كهرباء، بل يتحدث عن احتفالات العام الجديد.

كما أنهم يستندون إلى أنه لو كان هناك مصباح بالفعل لوجدوا نموذجًا له محفوظًا في إحدى المقابر، أما ولم يكتشف بعد سيظل الرفض هو سيد الموقف.

وعلى الجانب الآخر نجد المؤيدين يرون في النقش دليلًا لا يمكن دحضه على اكتشاف الفراعنة للكهرباء حتى أن بعض العلماء قاموا ببناء نموذج يعتمد على التصميم المذكور لإثبات أن النقش لنموذج مصباح حقيقي ويعمل بكفاءة.



نموذج المصباح معتمدًا على التصميم بمعبد دندرة

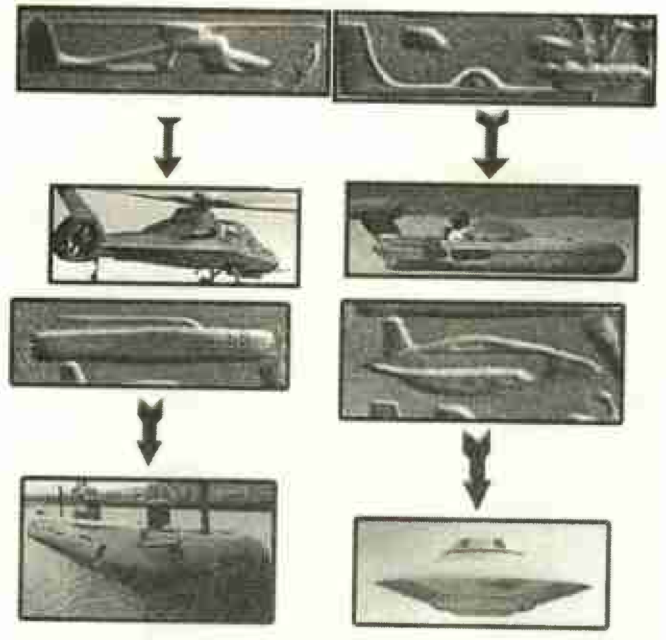


أطباق طائرة ومروحيات وغواصات وأشياء أخرى.

***

نقش معبد أبيدوس:

هذا النقش يوجد بمعبد أبيدوس (البلينا – سوهاج) وكما يظهر من النقش المحير فهناك أربعة أشكال غريبة بهذا النقش إذا تفحصتها جيدًا ستجد أنها تُشبه إلى حدٍّ كبير أشكالًا نعرفها في عصرنا هذا، ويمكن تلخيص ما يمكن قوله عن هذه الأشكال من خلال هذه الصورة التوضيحية



بالتأكيد فالناظر إلى هذا النص العجيب لا يملك إلا التسليم بأن الأشكال الموجودة به لا يمكن اعتباراها رموزًا هيروغليفة، وإنما هي أشكال حديثة لأشياء توجد في عصرنا.

هذا النقش يعده مؤيدو نظرية حداثة الحضارات القديمة دليلًا دامغًا لا يرتقي إليه الشك.. وهو بالفعل أثر غريب، وما يحويه من رموز يجعله دليلًا له وجاهته!

ولكن ترى ما رأي علماء الآثار والمصريات في هذا النقش؟

يرى علماء الآثار أن هذا النقش عادي جدًا، وأن هذه الأشكال الغريبة نتجت لسبب بسيط ألا وهو الكتابة فوق الكتابة!

كان من عادة بعض ملوك الفراعنة محو أسماء الملوك السابقين من فوق المعابد والآثار التي شيدوها وكتابة أسمائهم بدلًا منه،م وعلى هذا فمعبد أبيدوس أصلًا قد شيَّده الملك سيتي الأول الذي نقش هذا النقش باسمه وكان في الأصل بهذا الشكل.



ثم في عهد رمسيس الثاني تم كتابة مدح للفرعون رمسيس الثاني فوق النقوش الأولى بهذه الطريقة.



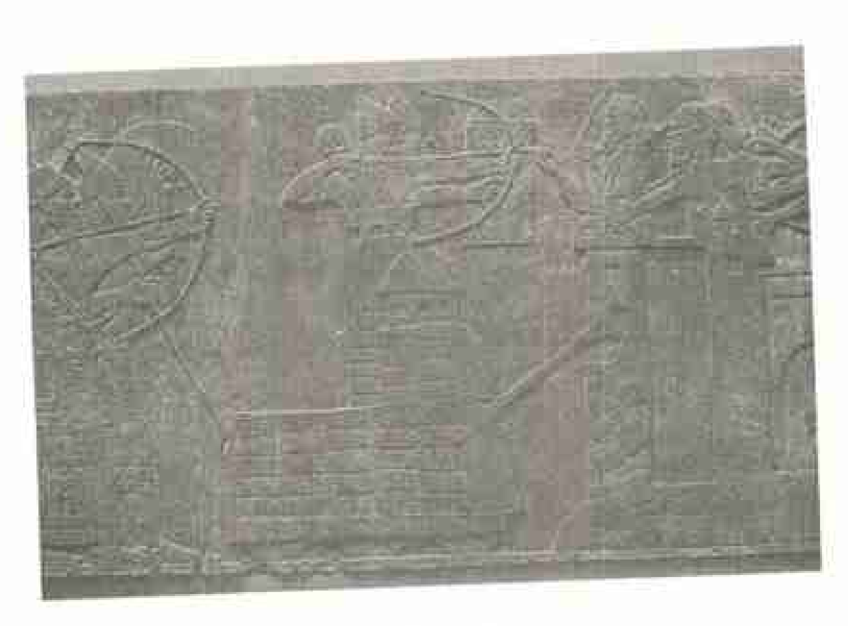
ثم مع الزمن تآكلت بعض من الطبقة الجصية من النص فأصبح النقش بهذا الشكل.



وهكذا تكونت تلك الرموز العجيبة بمحض المصادفة، ولكن لو أنك فصلت النصين فستتضح لك المصادفة الغريبة في الأمر.



فصل النصين



الدبابة الآشورية.

اللوحة تصور إحدى المعارك الحربية في العصر الآشوري، وكما يظهر من اللوحة، فالمعركة تُصوِّر حصار أحد الحصون والقوة المهاجمة تستخدم آلةً حربية تُشبه إلى حدٍّ كبير الدبابة التي نعرفها في عصرنا هذا.

هذه اللوحة تعتبر صدمة كبيرة لمن يراها لأول مرة فالآلة الحربية لا تكاد تختلف في الشكل كثيرًا عن الدبابة التي نعرفها اليوم، وهذا التصميم بالأخص يُشبه إلى درجة تقترب من التماثُل للدبابة في عصورها الأولى في زمن ما بعد الحرب العالمية الأولى.



الدبابة الإيطالية فيات 3000 في عام 1930

ترى ما تفسير وجود دبابة حديثة في تلك العصور الغابرة؟

الحقيقة أن الصورة الموجود في النقش القديم لا تمثل دبابة كما يبدو للوهلة الأولى بل هي تُمثّل ما يعرف بآلة (الكبش)، وهي من آلات الحصار القديمة، وكانت تستخدم لتحطيم أبواب الحصون أو نقب جدرانها، وكما يظهر في النقش المعروض فمُقدّمة الآلة التي تمثل المدفع في الدبابة يصطدم بجدار الحصن، ويقوم بهدم أجزاء منه ونقب حجارته، وللتوضيح أكثر نعرض نقشًا آخر من نفس العصر يمثل طرازًا آخر من نفس هذه الآلة.



وكما نرى فهذا التصميم أوضح في الغرض المخصص لهذه الآلة التي تُشبه الدبابة، ولكنها لا تُطلق الدانات بل ترتطم بجدران الحصون لتهدمها.

***

خطوط نازكا



خريطة توضح توزيع الخطوط في سهل نازكا

تقع خطوط نازكا في صحراء البيرو الجنوبية القاحلة بين مدينتي نازكا وبالبا التي تبعد حوالى 400 كلم.. جنوب ليما عاصمة البيرو، تغطي الخطوط مساحة 450 كيلومتر مربع تقريبًا عمر هذه الخطوط 2000 سنة، تمثل صورًا لحيوانات مختلفة كالكلب والقرد والعنكبوت وغيرها.. المشكلة أن هذه الصور ضخمة للغاية ولا يمكن مشاهدهاإلا من طائرة تحلق على ارتفاع عالٍ... اللغز هنا هو كيف استطاع هؤلاء القدماء رسم هذه الخطوط؟ ولمن رسموها؟



إحدى صور نازكا، صورة القرد

ومنذ اكتشاف خطوط نازكا وحتى اليوم تباينت الآراء والتفسيرات حول كيفية عمل هذه الرسومات والهدف منها، فما بين من شطّ بخياله ورأى أنها مهابط لمركبات فضائية وبين من حاول إرجاع الأمر لعبادات وطقوس وشعائر وثنية قديمة.

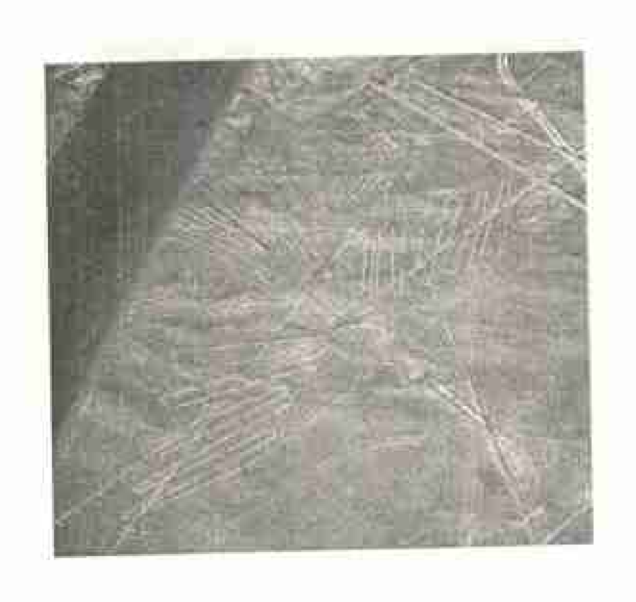


إحدى صور نازكا، صورة للعنكبوت

في كتابه (في عربات الآلهة) يرى إريك فون دانكن أن الخطوط هي دليل متكامل الأركان على زيارات مخلوقات الفضاء للأرض، وأن هذه الخطوط هي رسالة من أهل الفضاء لنا بأنهم كانوا هنا يومًا، وربما كانت إشارات لتحديد مواقع هبوط المركبات الفضائية، على هذا الدرب سار الكثير من المحللين، وكعادة الأستاذ أنيس منصور الذي تبنى آراء فون دانكن وحذا حذوها تمامًا في كتابيه:

(الذين هبطوا من السماء) و(الذين عادوا إلى السماء)

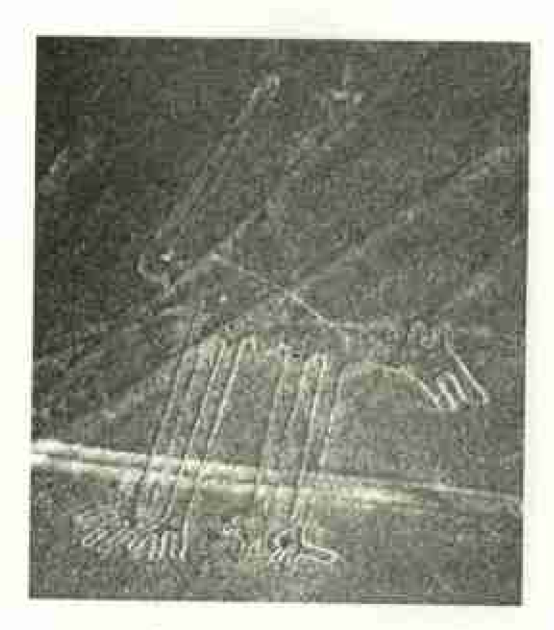
***



إحدى صور نازكا، صورة لنسر الكوندور

في حين ترى العالمة البريطانية ماريا ريتش أن الرسومات هي تقويم فلكي استخدمته حضارة الأنكا لتحديد أوقات زراعة المحاصيل والحصاد، ويشير إلى اتجاه النجوم والكواكب وارتفاعها.

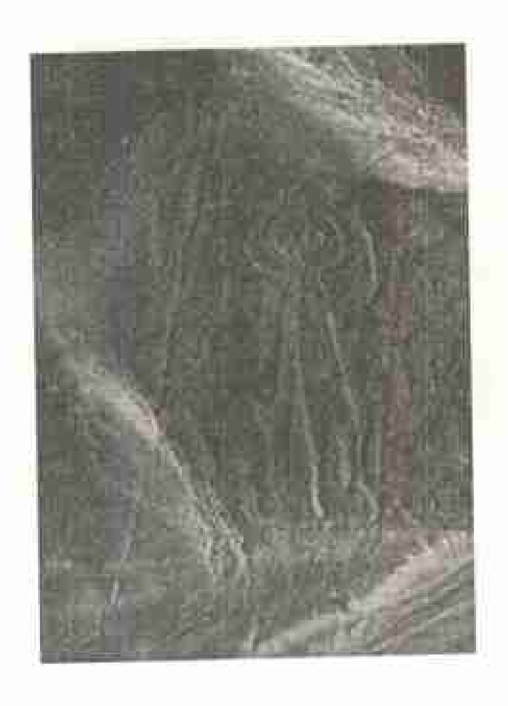
***



إحدى صور نازكا، صورة الكلب

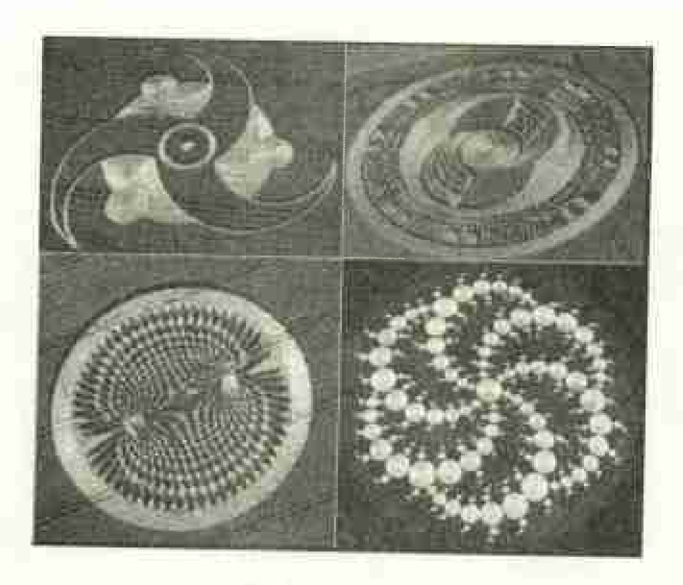
وترى فرضيات أخرى أن الرسومات ما هي إلا طقوس دينية لجلب الخصب أو أماكن التضحية بالقرابين أو أماكن لممارسة الطقوس السحرية القديمة في حضارة الأنكا.

***



إحدى صور نازكا، صورة الإنسان

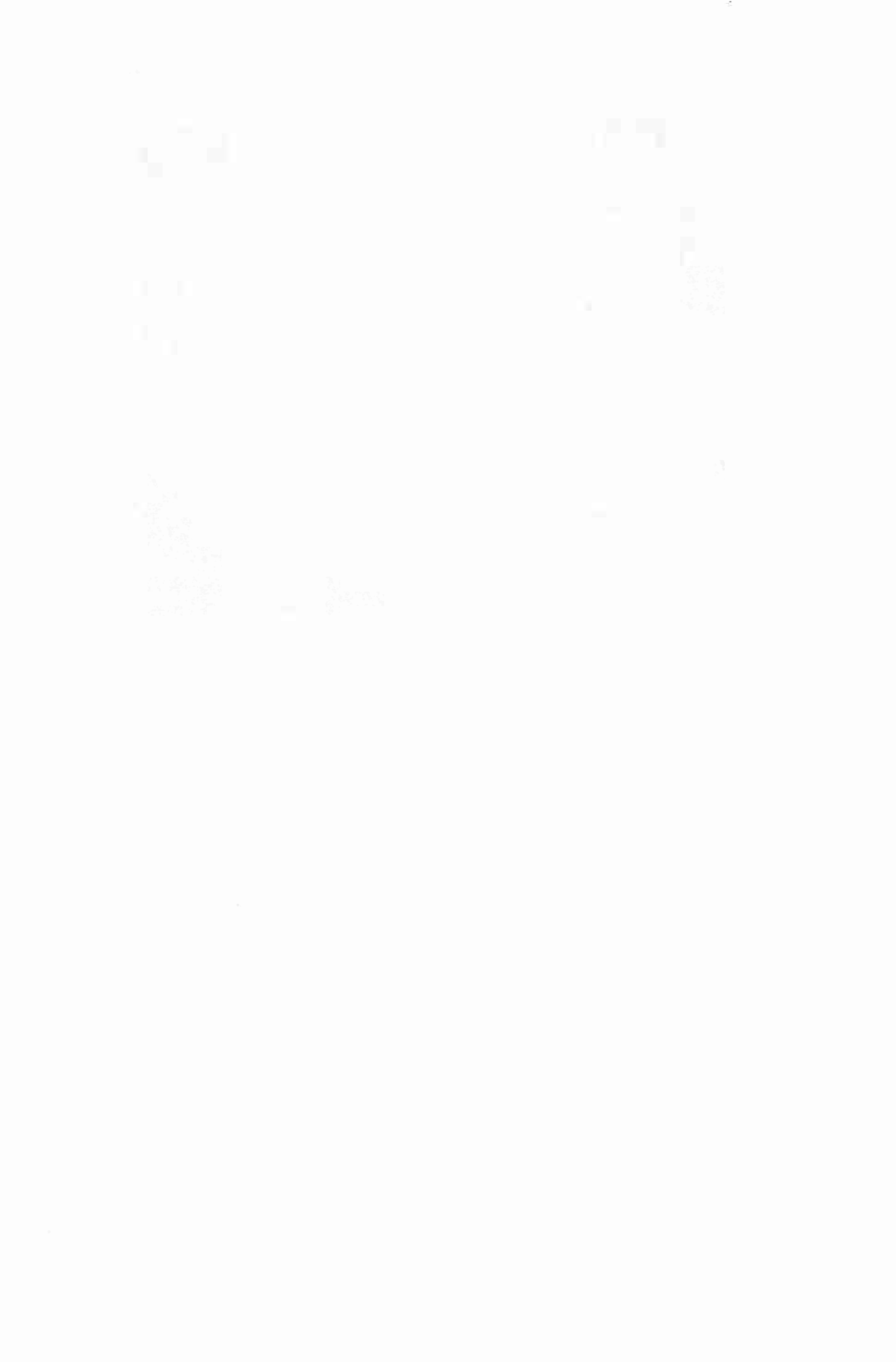
وفي النهاية فلنا رأي وهو أن صناعة مثل هذه الرسومات ليست عملًا إعجازيًّا أو أمرًا تعجز عنه حضارة الأنكا لننسبها لمخلوقات فضائية فكل ما كان على القدماء فعله هو كشط طبقة الصخر السوداء لإظهار الطبقة البيضاء في الصخور وتظهر كخطوط كما هو الحال الآن ولمن يصر على أن الأمر لا يمكن عمله إلا إذا توافرت وسيلة للطيران والتحليق عاليًا لمشاهدة الرسم، فهذا ليس صحيحًا حيث إننا رأينا مثلًا مجموعة من الفنانين يبدعون أشكالًا معقدة للغاية كما في دوائر الحقول الشهيرة بأقل الإمكانات وبدون الحاجة إلى التحليق لرؤية عملهم.



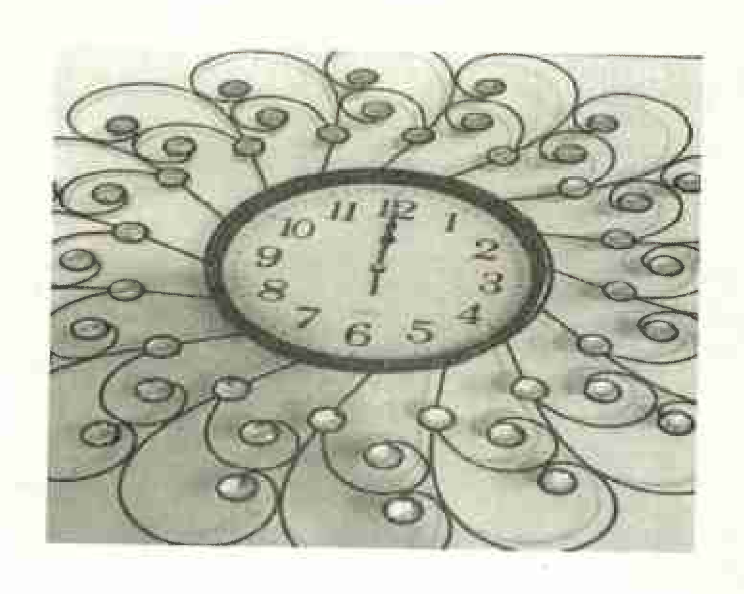
صور لمجموعة من دوائر المحاصيل

وختامًا فسواء كانت خطوط نازكا من عمل كائنات فضائية أو حضارة قديمة وسواء كانت مهابط للصحون الطائرة أو أماكن لتقديم القرابين، فسوف تظل خطوط نازكا لغزًا يلهث وراءه الباحثون، ونحن على استعداد لتقبل أي تفسير شريطة أن يكون مصحوبًا بالدليل.

***



انتبه أنت لا ترى الحاضر





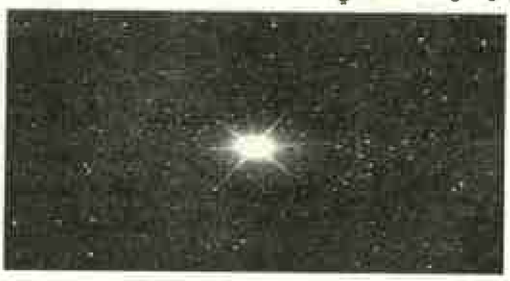
تخيل معي أنك تقف أمام ساعة ضخمة تشير إلى الثانية عشرة إلا دقيقة

تراقب عيناك العقارب عندما تتعانق جميعًا معلنة أن الساعة أصبحت الآن الثانية عشرة تمامًا.

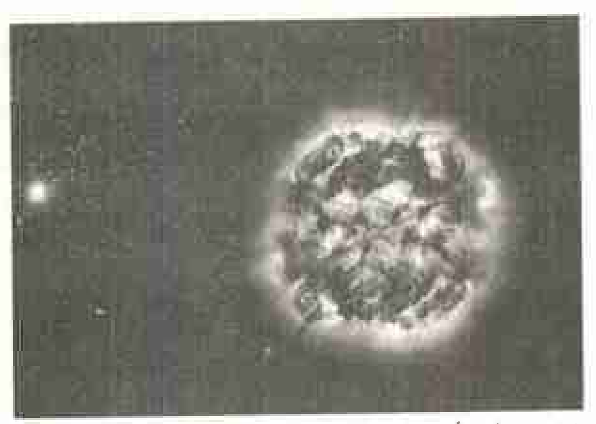
الآن تراجع إلى الوراء بسرعة الضوء مثبتًا عينيك على الساعة التي سنفرض أنها ستظلُّ مرئية لك، ستلاحظ أن العقارب ستظلُّ على نفس وضعها، ولن تتحرك قيد أنملة مهما يطل الزمن، والسبب كما هو معلوم أن صورة الحدث تتحرك بسرعة الضوء التي تتحرك أنت بها؛ لذا فإنك لن ترى إلا نفس الصورة لحظة تحركك، والآن زِدْ سرعتك لتجتاز سرعة الضوء، ستلاحظ أن العقارب تبدأ في الحركة ولكن بطريقة عكسية كما لو كان فيلمًا يدور عكسيًّا وهذا يعنى أنك ترى الماضي !

أخي دعني أخبرك أن بإمكانك التأكد من هذه النتيجة بنفسك دون الحاجة إلى خوض هذه التجربة الخيالية.

حين ننظر إلى السماء في ليلة صافية، فإننا نرى الآلاف من النجوم، وقد نرى أيضًا المجرات البعيدة باستعمال المناظير المكبرة هل نحن فعلًا نرى هذه النجوم والمجرات كما هي؟



في الحقيقة نحن لا نرى إلا تاريخ هذه النجوم بعضها منذ آلاف وربما منذ ملايين السنين فأغلبها يحتاج الضوء الصادر عنها إلى آلاف أو ملايين من السنين ليصل إلينا وربما تكون بعض هذه النجوم قد انفجرت أو انكمشت على نفسها، ولكننا لا نزال نراها في صفحة السماء، ولن نعرف هذه الحقيقة إلا بعد فترة طويلة من الزمن تلك التي يحتاجها الضوء الصادر لحظة الانفجار أو الانكماش ليصل إلينا.



نحن إذن نستطيع أن نرى الماضي وفي الحقيقة نحن لا نرى إلا ماضي الأشياء حتى وإن كانت الأجسام قريبة، فنحن نرى ماضيها وإن كان هذا الماضي جزءاً ضئيلًا من الثانية.

إننا في الواقع لا نرى الحاضر لجسمٍ ما إلا إذا التصق بشبكية العين، ولكن ذلك بالطبع سيؤدي إلى فقدان البصر وعدم الرؤية إطلاقًا.

ولأنه ربما يطرح أحد ما هذا السؤال: إذا كنا نستطيع رؤية الماضي، فهل من الممكن رؤية المستقبل؟

وللإجابة عن هذا السؤال سأضرب لكم مثلًا:

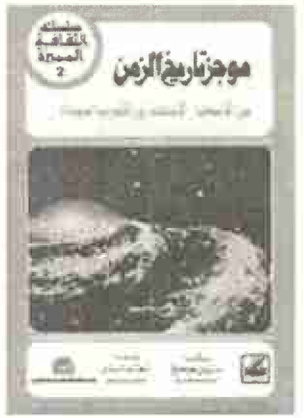
إذا فرضنا أن هناك راصد يقف الآن على مسافة 4000 سنة ضوئية عن الأرض ولنفرض أنه يستطيع رؤية ما يجري على سطح الأرض، أتعرفون ماذا سيرى؟

سوف يرى الفراعنة وهم يُشيِّدون الأهرام والمعابد، أما لو كان هناك راصد آخر على كوكبة الدجاجة التي تبعد مسافة 1500 سنة ضوئية. فسوف يرى الأرض وقد زالت حضارة الفراعنة وسيرى حضارات أخرى كحضارة الروم والفرس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يولد بعد تَبعًا الراصد، ولكن مجازًا نستطيع أن نقول إن هذا الراصد يرى المستقبل تبعًا للراصد الأول، وإن كان في الحقيقة لا يرى إلا الماضي. ولو فرضنا مثلًا أن الشمس انفجرت واستطاع شخص ما على الأرض أن يبلغ راصد على النجم قنطورس ألفا الذى يبعد 4 سنوات ضوئية أن الشمس ستنفجر بعد 4 سنوات فعندما سيأتي موعد تحقق تلك النبوءة سيرى الراصد انفجار الشمس، ويحسب أن ذلك الشخص يعرف المستقبل أو يطلع على الغيب، بالرغم من أن هذا الشخص لم يعلم بانفجار الشمس إلا بعد 8 دقائق هي الفترة التي يقطعها الضوء من الشمس إلى الأرض .

وبشكل عام إننا على الأرض نرى ما يحدث على سطح الشمس قبل أن يراه الراصد على المريخ أو المشتري، ولكن الراصد على الزهرة أو عطارد يرى الحدث قبلنا وعلى هذا فنحن نرى المستقبل بالنسبة إلى المريخ والمشترى في حين أن الزهرة وعطارد يريان المستقبل بالنسبة لنا!

وفي الحقيقة فإن الجميع لا يرون إلا ماضي الحدث ولا يستطيعون حتى رؤية حاضره.

يقول ستيفن هوكينج في كتابه: تاريخ موجز للزمن، نحن نستطيع أن نتذكر الماضي ونستعيد صور الأحداث التي جرت فيه، ولكننا لا نستطيع رؤية المستقبل.



وعلى هذا نستطيع أن نقول إننا نستطيع أن نرى الماضي، بل نحن في الحقيقة لا نرى إلا الماضي، أما المستقبل فلا مجال للحديث عنه لأننا لا نستطيع حتى رؤية الحاضر.

***

بغير عَمَدٍ ترونها





تصور معي أن قوة جذب الشمس للأرض قد انعدمت فجأة لأي سبب من الأسباب. ماذا سيحدث؟

والإجابة معروفة، إن قوة الطرد المركزي المتولدة من دوران الأرض حول الشمس سوف تدفع بالأرض بعيدًا في الفضاء السحيق لتهيم بلا هدفٍ إلى أن تصطدم بجرم آخر أو تدخل نطاق جذبِ أحد النجوم فيبتلعها.

والآن لنفرض أن سكان الأرض جميعًا تعاونوا لمنع هذه الكارثة، فقرروا استبدال أعمدة الجاذبية غير المرئية بأعمدة من الفولاذ تربط الأرض بالشمس، فمن المعروف أن الفولاذ هو أشد المعادن مقاومة للشدِّ حيث تساوي مقاومته 100 كج لكل مليمتر مربع.

وليكن قُطر العمود الواحد 5 أمتار فإن مساحة مقطع هذا العمود = 20000000 مليمتر مربع.

ويتحمل شدًّا مقداره= 2000000 طن هل تعلم كم عمودًا نحتاج لمنع الأرض من الخروج عن مدارها؟

سوف نحتاج في هذه الحالة الى 1000000000000 عمود (تريليون عمود) وهذه الأعمدة بطول المسافة من الأرض إلى الشمس أي 149

مليون كيلومتر وبقطر 5 أمتار وبالإمكان حساب حجم الأعمدة، وبضرب الناتج في كثافة الفولاذ يمكن أن نحسب كتلة الفولاذ اللازم لهذا المشروع الجبار (إن الناتج سيتجاوز بأضعاف كتلة الأرض ذاتها)

وهذا العدد من الأعمدة إذا تم توزيعه بانتظام على نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس سنجد أن المسافة التي تفصل بين عمود وعمود لا تزيد إلا قليلًا عن قطر العمود نفسه.

إذا استطعنا تصور القوة اللازمة لقطع جميع الأعمدة الفولاذية المذكورة لأمكننا تصوُّر قوة الجذب الخارقة المُتبادَلة بين الأرض والشمس.

أتعرف فيمَ تستخدم قوة الجذب الخارقة هذه؟

إنها لا تُستخدم الا لغرض واحد فقط. هو حني مسار الأرض وذلك بجعلها تنحرف عن المماس بمقدار 3 مليمترات في كل ثانية، وبفضل ذلك يتحول مسار الأرض إلى المدار الإهليليجي المقفل.

لاحظ أن هذا المشروع الخيالي لن ينجح إلا في منع الأرض من الإفلات، ولكنه في المقابل سيمنع الأرض من الدوران حول محورها، مما يعني أنه لن يكون هناك تتابُع لليل والنهار، وسيكون القسم المواجه للشمس نهارًا إلى الأبد والنصف الثاني ليلًا إلى الأبد.

فسبحان الله العظيم الذي أحسن كل شيء خلقَه (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه)..

إن قوة تريليون من الأعمدة الفولاذية لا تكافئ قوة هذه الأعمدة غير المرئية، هل تصدق؟

سبحان الله العظيم القائل: (الذى رفع السماء بغير عمد ترونها)..

ان اعتيادنا لرؤية نعم الله عز وجل علينا في كل وقت وحين جعل الناس تألفها ولا تستشعر معجزة الله فيها، وكم من آية في السموات والأرض نمر عليها غافلين عن شكر الله عليها. فماذا لو أن الله لم يتكفل بحفظ نعمه وأوكلها إلينا؟..

والله لو اجتمعت الإنس والجن لما استطاعوا ذلك، فلا أقلَّ من أن نحمد الله على واسع فضله وجزيل نعمِه.

***

الذين هبطوا من السماء:

لنبدأ أولًا برأيي الشخصي في هذا الكتاب.

من رأيي أن الأستاذ أنيس قد مارس في هذا الكتاب أسلوبًا أحب أن أسميه الدجل العلمي.

فالأستاذ الكبير تفنَّن في سرد عشرات وعشرات من التخاريف الممزوجة ببراعة بآراء (العلماء) وقرن ذلك كله بقرائن وأدلة تاريخية واثرية ليخلُص من هذا كله بعدة أفكار ربما لم يصرح بها علانية، ولكن الكتاب لا يدع مجالًا لغيرها وهي كالاتي.

1- الإنسان لم يوجد على هذه الأرض وانما هو انتقل إليها من كوكب آخر.

2- الحياة الإنسانية على الأرض ما هي إلا تجربة علمية تجريها حضارة أخرى متقدمة.

3- إن هناك أدلة على أن أهل هذه الحضارة كانت لهم زيارات متكررة لأرضنا في أزمان سالفة.

4- إن ما نعرفه نحن بالملائكة ورُسل السماء ما هم إلا بعض من هذه الكائنات التي تتعهدنا بزيارات لمتابعة التجربة.

ونحن نجده يلخص ما يريد الوصول إليه بهذا الكتاب بتلك التساؤلات التي طرحها في نهاية الفصل الثاني فيقول:

وإذا كان علم الفضاء الحديث يريد أن يحصل على عينات من الكواكب الأخرى ليعرف كيف نشأت هذه المجموعة الشمسية .. أو كيف بدأت الحياة فإننا نريد أن نهتدى إلى كيف كانت الحياة على هذه الأرض . قبل وبعد وأثناء الطوفان .. وماذا حدث هنا .. وماذا سوف يحدث ..؟

ومن الذى أهلك الأرض وكيف لا تهلك مرة أخرى ..

وهل صحيح أن أهل الأرض هم جماعة من المهاجرين أو من المغامرين جاءوا إليها من كواكب أخرى .. كما هاجر أبناء قارة أوربا إلى قارة أمريكا .. وقارة أستراليا .. وهل نحن سلالة كائنات عاقلة أم سلالة كائنات عاقلة تزوجت حيوانات غير عاقلة .

هل الأرض مزرعة تجارب حيوانية ونباتية وإنسانية ..

إذًا فهذه هي الفكرة التي تملأ رأس الأستاذ أنيس منصور التي تجشّم عناء كتابة هذا البحث المستفيض الذي أتبعه ببحث آخر لا يقل عنه براعة وهو: (الذين عادوا الى السماء) والذي سوف نناقشه في سياق هذا الموضوع.

ولكن المؤسف في الموضوع أن اقتناع الأستاذ أنيس منصور بهذه الفكرة جعلته منحازًا في بحثه وجعلته يتعامى عن الحقائق الواضحة الجلية وجعلته يجري وراء سراب وكل ما شذّ وغرب من أقوال العلماء أو من يدعون العلم ويصورها لنا من خلال كتابه على أنها حقائق ثابتة لا تقبل الجدل.

وهذا هو الخطأ الأكبر الذي وقع فيه الأستاذ أنيس منصور، فالانحياز المسبق لفكرة بعينها هو العدو الأول لمنهجية البحث العلمي والتي تجعل الباحث يستبعد كل الأدلة التي تدحض فكرته ويقوم بالتركيز على القرائن والشواهد التي ربما ساعدت بحثه وتحميل القرائن ما لا تحتمله. وهذه الأمور وأكثر موجودة بشكل مركز في هذا الكتاب الذي قد يبدو للوهلة الأولى كتابًا علميًّا يستند إلى حقائق علمية مؤكدة، ولكن إذا حاولت تتبع ما يقول ولا تأخذ الأمور بظواهرها سيتكشف كل ذي عين مدى التدليس الذي ارتكبه الأستاذ الكبير على أوسع نطاق في كتابيه اللذين هبطوا والذين عادوا وهذا هو ما سنناقشه في هذا الموضوع.

***

الهجرة العجيبة:

كما أسلفتُ سابقًا في سردي للأفكار الأساسية للكتاب، وأول هذه الأفكار وهي كون الإنسان لم يوجد على الأرض وإنما هو مهاجر إليها من كوكب آخر نجد الأستاذ أنيس يثبت هذه الفكرة بأسلوبه الرائع المُفحم هكذا

فهل هناك سكان فى كواكب أخرى ؟

إن علم الفلك يؤكد أن هناك ملايين الملايين من الكواكب الأخرى فى الكون . ولا يستبعد أن تكون بعض هذه الكواكب صالحة للحياة . وليس مستحيلا أن يكون سكان هذه الكواكب ينتقلون من كوكب إلى كوكب .. إن الكتب الدينية تقترب من هذا المعنى ..

ولا بد أن يكون آدم وحواء قد هبطا من كوكب آخر إلى كوكب الأرض .

***

أرأيتم أسلوب الأستاذ أنيس؟

إنه يبدأ متسائلًا: هل هناك سكان في كواكب أخرى؟

ثم يبدأ بالرد على نفسه بحقيقة علمية مفادها أن الكون يحوي ملايين الكواكب الأخرى وهو صحيح (ولا يستبعد) أن يكون بعضها صالح للحياة ونحن نتفق في هذا، ولكن لاحظ أداة (لا يُستبعد) التي تفيد الشك وعدم اليقين ثم يكمل قائلًا: (وليس مستحيلًا) أن يكون هناك سكان على هذه الكواكب يمكنهم التنقل بينه لا بأس، ولكن لاحظ أيضًا صيغة (وليس مستحيلًا) التي تفيد شكًّا أقوى، ثم نجده يزج بالكتب الدينية في الموضوع فيقول:

إن الكتب الدينية تقترب من هذا المعنى). هكذا انتهى بدون توضيح أو ذكر أمثلة على هذا الأمر ثم لاحظ قوله: (تقترب من هذا المعنى)، والتي لا تفيد القطع، ولكن تفيد الاستنتاج وبالطبع فإن زجه للكتب الدينية في المسألة ليس أكثر من إضفاء قداسة على كلامه حتى لا يعارضه أحد حين يخلص في النهاية إلى قرار قطعي مفاده: (ولا بد) أن يكون آدم وحواء قد هبطا من كوكب آخر إلى كوكب الأرض.

أرأيتم كيف أن المقدمات التي ساقها قادته إلى حقيقة قطعية؟ وأنا اسأل كل ذي عقل هل الاحتمالات والشكوك غير اليقينية يبنى عليها تقريرًا يقينًا هل لاحظت أسلوب القطع اليقيني باستخدام (لا بد) من أين جاء

بهذا الجزم؟ كما هو واضح فهو لم يقدم سوى بعض افتراضات بنى عليها حقيقة، ولا عزاء للمنهج العلمي.

ولكن دعنا لا نظلم الرجل، فها هو في أحد الفصول الأخرى يعود ليتكلم عن هذا الأمر، فتعالوا نتابع ما قال علّنا نجدُ ما نبحث عنه.

> والكتب الفلكية تقول ان أكثر من هجرة من كوكب آخر إلى هذا الكوكب قد تمت بصورة عنيفة . ولا بد أن يكون آدم عليه السلام قد أنزله الله من كوكب آخر وكان بذلك بداية الهجرات إلى الأرض . . أقرب هذه الكواكب إلى حساب العلماء هو كوكب الزهرة .
>
> ولا بد أن هذه الهجرة قد تمت فى سفن فضاء . . ويبدو أن يكون أبناء الزهرة عمالقة . وأنهم تزاوجوا مع أهل الأرض . رجال من عندهم ونساء من عندنا . أما أين نزل هؤلاء المهاجرون . فالدراسات الفلكية تقطع بأنهم نزلوا فى أرمينيا وفى بيرو بأمريكا الجنوبية وفى التبت وفى مصر وفى قارة أطلانطس . والآثار الباقية تؤكد أن هؤلاء العمالقة كانت تتراوح أطوالهم بين مترين ونصف متر وأكثر قليلا !

ها هو ذا أستاذنا الكبير يستمر بنفس طريقته المعهودة في سرد (الحقائق) العلمية بطريقة صدقني.

فهو يقول إن الكتب الفلكية تقول إن البشر هاجروا إلى الأرض من كوكب الزهرة بواسطة سفن فضاء.

ودعوني أتساءل: أين هذه الكتب يا أستاذنا الكبير التي تقول هذا الدجل؟ ربما كنتَ تقصد كتب التنجيم والشعوذات، أما الكتب الفلكية العلمية، فلا يمكن أن تقول ذلك الكلام، أتعرف لماذا يا عزيزي؟ لأن العلماء لا يقتنعون إلا بالدليل والتجربة والبرهان أما كل ما ذكره الأستاذ، فكلام لا رأس له ولا ذيل، ولا أعرف كيف تجرأ على هذا القول؟! ولكنه معذور فهو يتصور أن الناس ستقرأ وتقول آمين، ولن يراجع أحد ما قال.

تعالوا إلى نقطة ثانية في كلامه.

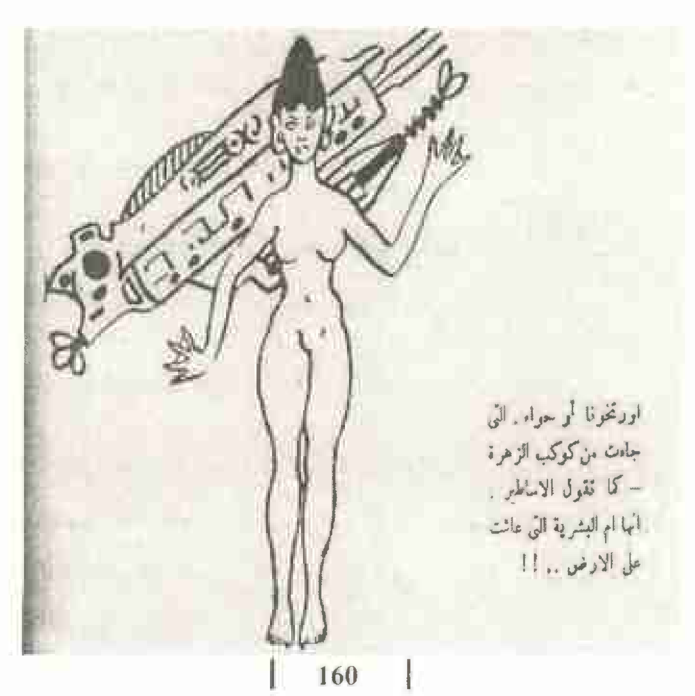
فهو يقول إن آدم كان بداية هذه الهجرة والتي تبعها هجرات أخرى من رجال كوكب الزهرة المتعطشين لنساء الأرض.

وهنا نجد ثلاث مغالطات :

1- معنى هذا أن آدم ليس هو الأب الوحيد للبشر، بل كان هناك العديد منهم وهذا بالطبع يتطلب وجود أكثر من حواء وهو يخالف بذلك جميع المعتقدات الدينية سواء كانت إسلامية أو مسيحية أو يهودية هذا من الناحية الدينية.

2- هل كل سكان الزهرة من الرجال فقط لا غير أم أن تلك الهجرات كانت مقتصرة على الرجال فقط دون النساء أم أن الرجال على كوكب الزهرة قرروا ان يهربوا من زوجاتهم النكديات لينعموا بنساء الأرض الوديعات؟

3- هل كل سكان الأرض في ذلك الحين كن من النساء؟ ومن أين جاءت تلك النسوة إلى الوجود بدون ذكور؟ وإن كان هناك ذكور فأين نسلهم؟ لماذا لا يمكننا تميز أحفاد أهل الأرض من أحفاد أهل الزهرة؟ الغريب في الأمر أن الأستاذ عاد بعد ذلك وناقض نفسه، وقال إن النساء هن القادمات من الزهرة، وقام بنشر صوره ظريفة تخيلية لحواء الزهرية



اورنخونا أو حواء. التي جاءت من كوكب الزهرة - كما تقول الاساطير. أنها ام البشرية التي عاشت على الارض .. !!

هل لاحظتَ التضارُب في كلام الأستاذ الكبير؟

والآن إلى نقطة أخرى في كلامه:

ولا بد أن هذه الهجرة قد تمت فى سفن فضاء . . ويبدو أن يكون أبناء الزهرة عمالقة . وأنهم تزاوجوا مع أهل الأرض ، رجال من عندهم ونساء من عندنا . أما أين نزل هؤلاء المهاجرون . فالدراسات الفلكية تقطع بأنهم نزلوا فى أرمينيا وفى بيرو بأمريكا الجنوبية وفى التبت وفى مصر وفى

هل لاحظتَ أسلوبه القاطع الجازم بأن هذه الهجرات تمت بواسطة سفن فضاء، ولا أدري من أين أتى بكل هذه الثقة، وهو يتحدث عن أمور من المفروض حسب كلامه من عشرات الألوف من السنين فلا أدري: هل رأى الأستاذ تلك السفن أم أن القدماء كتبوا لنا هذا أم تركوه مرسومًا لنا على الجدران؟ فإن كان، فالبينة على من ادَّعى، أقرن قولك بالدليل أو اسكت إلى الأبد، ولا تخض فيما لا تعرف.

ثم يعود ليقطع مرة أخرى بأن تلك السفن قد حطت في أرمينيا وبيروا والتبت ومصر، ولم ينسَ أن يقول إن الدراسات الفلكية هي التي تقول ذلك.

حسنًا، دعونا نتساءل: أين هي هذه الدراسات لنطلع عليها ونقرر بأنفسنا؟ وما الدلائل أو الحقائق التي استندت إليها هذه (الدراسات الفلكية) لتخلص بهذه النتيجة، لاحظ أخي كلمة دراسات فلكية وأنا لا أدري ما علاقة الفلك بهذا الأمر فمن المفروض أنه لم يكن هناك مراصد فلكية في ذلك الزمن ترصد هبوط تلك السفن في الأماكن سالفة الذكر، ولكن من المفروض أن يقرر ذلك علماء الآثار والحفريات من دراسة تلك المناطق المذكورة.

هل لاحظتم أسلوب التدليس بالطبع أن كلمة دراسات فلكية أوقع في النفس والخيال من كلمة دراسات أثرية؛ ولهذا لم يتورع الكاتب الكبير عن استخدام الطعم الذي يحبه السمك.

***

أعجب اكتشاف أثري!

بعد ذلك يأخذنا الكاتِب بأسلوبه السريع الذي يجعلك لا تستطيع ملاحقة أنفاسك من السرعة والإبهار في جولة تاريخية يحاول فيها أن يبني على ما سبق وأسلف من أنه كانت هناك حضارات كثيرة في العصور الغابرة منذ عشرات الألوف من السنين، وأن هذه الحضارات لأنها كانت

قريبة العهد بأصولها التي جاءت أساسًا في سفن فضاء؛ فلهذا كانت هذه الحضارات متقدمة تكنولوجيا إلى حدٍّ ربما لم نصل إليه بعد، ولكن هذه الحضارات بادت واندثرت بسبب الكوارث الطبيعية التي أشهرها حسب قوله طوفان نوح أو غير الطبيعية من تفجيرات نووية وذرية، ولم يبقَ من هذه الحضارات إلا صور باهتة تناقلها البشر جيلًا بعد جيل، وربما وجدنا بعضًا من معارفهم على بردية أو جدارية أو صورة في كهف وهكذا. فيقول:

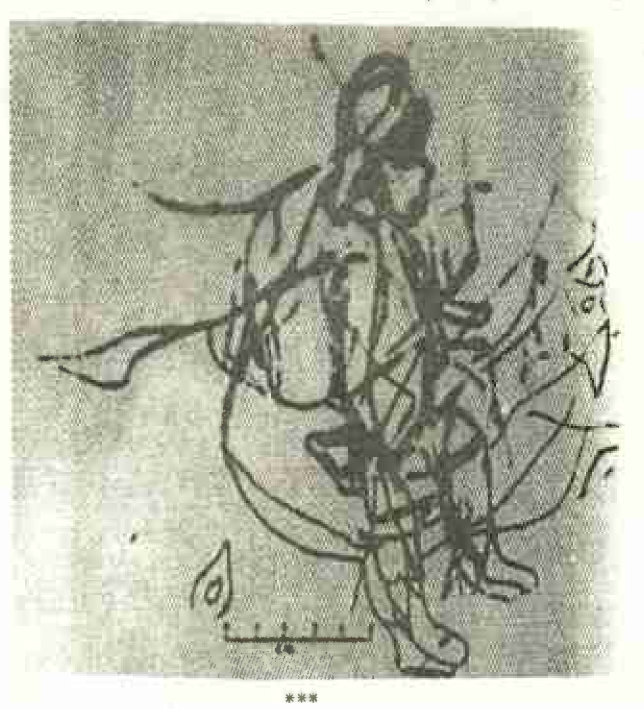
ومن المؤكد ـ علميا ـ أن الإنسان قد عرف منذ أكثر من عشرين ألف سنة : القنبلة الذرية .. وعرف الكهرباء ، بل عرف أشعة الموت أيضاً وعرف تحويل المعادن إلى ذهب ..

والله انا لا اعرف من اين جاء الأستاذ الكبير بهذه الثقة المذهلة التي يؤكد بها أن الإنسان عرف الكهرباء والليزر بل الطاقة النووية منذ عشرين ألف سنة بل يتبجح قائلًا: (من المؤكد علميًّا) والعلم منه براء. ثم يحاول توثيق ما يقول تاريخيًّا، فيذكر عدة أمور عجيبة ربما كانت ذات بالٍ لأول وهلة فيرسمها لنا بأسلوبه البارع على أنها أمور لا تحمل أيَّ شكٍّ وإليك أمثلة على ذلك:

وفى أغسطس ١٩٣٧ عثروا على قطعة من الحجر فى أحد الكهوف بالقرب من مدينة فيينا . لم يكن شكل الحجر واضحاً فى الظلام . فنقلوا الحجر إلى النور . . ووضعوه تحت العدسات وتحت الأضواء الباهرة .

ووجدوا أعجب اكتشافات القرن العشرين الأثرية . وجدوا على الحجر أناساً يرتدون الجاكتة والبنطلون والقبعة وفى أقدامهم أحذية وجوارب . وعلى وجوههم رسوم حقيقية تدل على أنهم كانوا يصنعون نظارات طبية . عمر هذا الحجر حوالى ١٥ ألف سنة . ومعنى ذلك أن الإنسان فى ذلك الوقت كان متحضراً مثلنا ، أو كان على صلة بكائنات متحضرة مثلنا وأكثر منا حضارة ، ولا بد أن هؤلاء الناس كانت لهم مدن وبيوت وشوارع وسيارات وطيارات

كما ترون فالأستاذ يضعنا في (المود) بأسلوبه الإبهاري بأن الأمر كما صوَّره، ولا أنكر أني حين قرأت هذا الكتاب لأول مرة كنت في الثانوية، وكنتُ متحمسًا جدًّا لما يقول الأستاذ، وأخذتُ أضع في رأسي تخيلًا لهذا الحجر، وما عليه من صور مبهرة من 15 ألف سنة، ولقد تفضل الأستاذ بوضع صورة لهذا الحجر، ولا يمكنكم أن تتخيلوا ردَّ فعلي حين رأيت الصورة.. كمٌّ لا يمكن تصوره من خيبة الأمل وأنا لن أُعلق على الصورة، ولكني سأترك لكم الحكم.



***

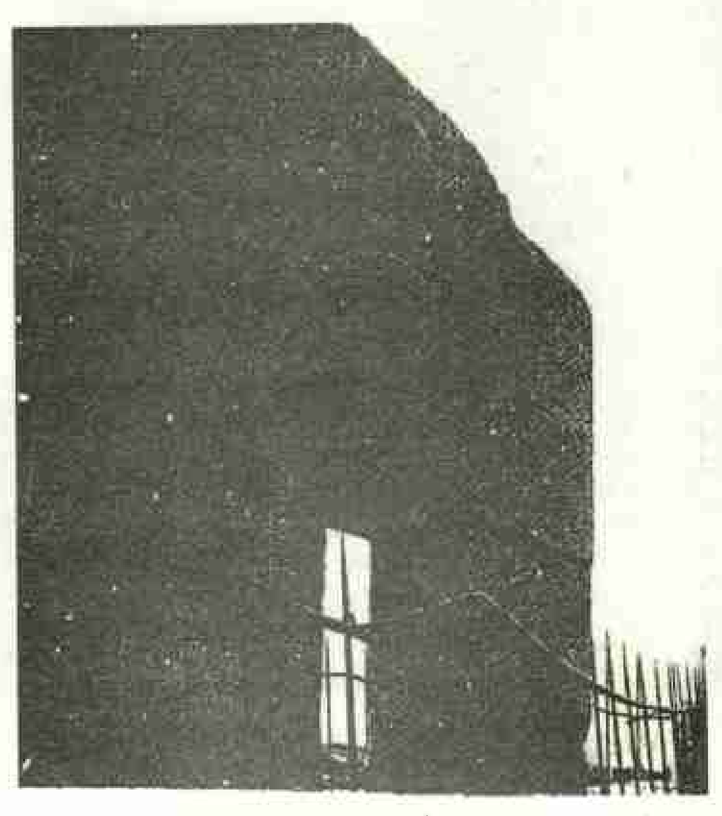
ما زلنا مع الأمثلة التاريخية التي يذكرها الأستاذ ولنأخذ مثالًا آخر:

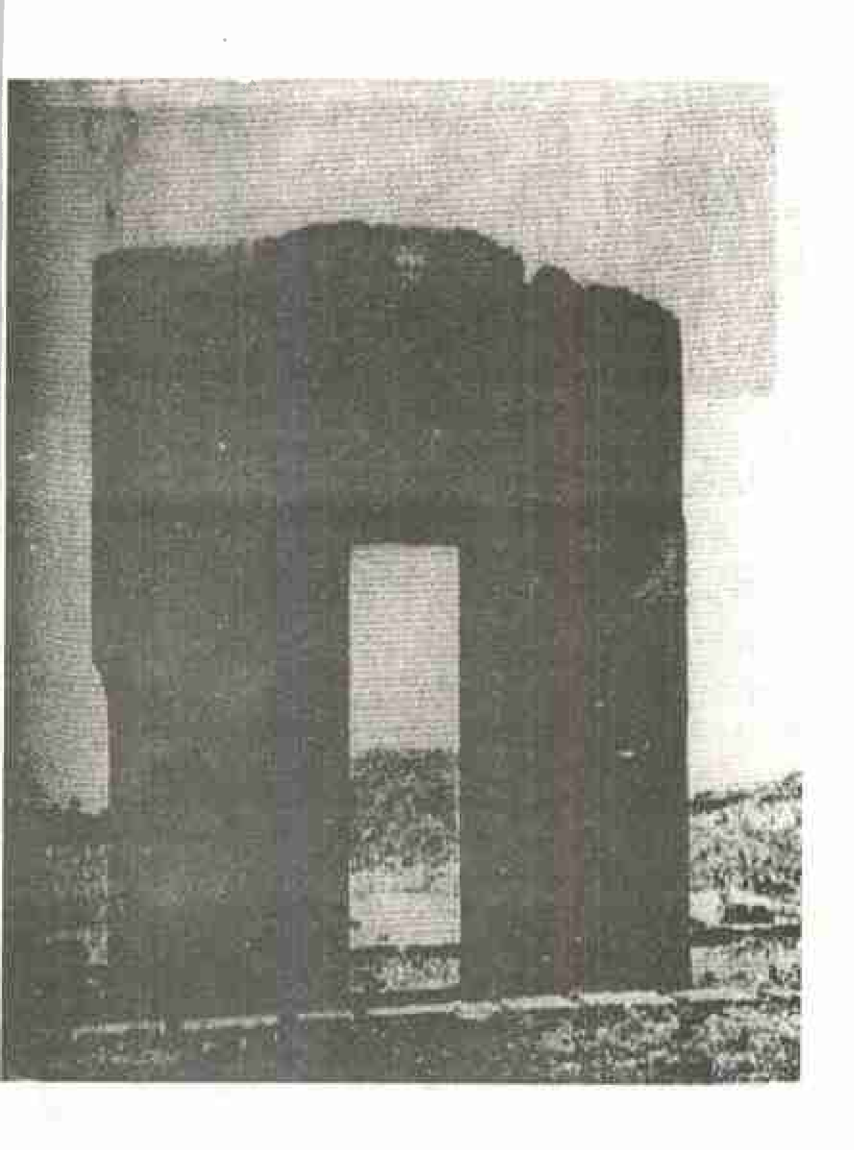
وليس لهذه البوابة غير اسم ليست له دلالة: اسمها: باب الشمس، أو بوابة الشمس.

ولسبب غير واضح توقف عندها، واقترب وأخرج من جيبه منظاراً «مكبراً» ورأى الحجر، وقرر أن يلتقط له بعض الصور، ثم كبر الصور، وكانت المفاجأة، على هذه البوابة صور لآلات علمية دقيقة متعددة وعندما أعاد النظر إليها وجدها ستمن فضاء.. هذه البوابة هى كل ما تبقى من مدينة فى بوليفيا اختفت تماماً، لا نعرف عنها أى شىء، ولا نعرف أحداً رآها، أو اقترب منها.. ثم ان الناس الذين ظهروا على البوابة كانوا يرتدون الصديرى والبنطلون والرنيطه.

ما رأيكم اعزائي في طريقة الأستاذ في رسم هذه المعجزة الأثرية؟ أظن أنك قد صرت مهيَّئًا الآن لرؤية هذه الآلات الحديثة، والناس ذوو الملابس الحديثة والقبعات والبناطيل وغيرها من الأمور التي تفنن أستاذنا في وصفها على الورق، ولكن استعدوا للمفاجأة، وسأدع لكم كالعادة الحكم على الصور، أولًا دعونا نُلقِ نظرةً على بوابة الشمس.

وهذه صورة أخرى للبوابة

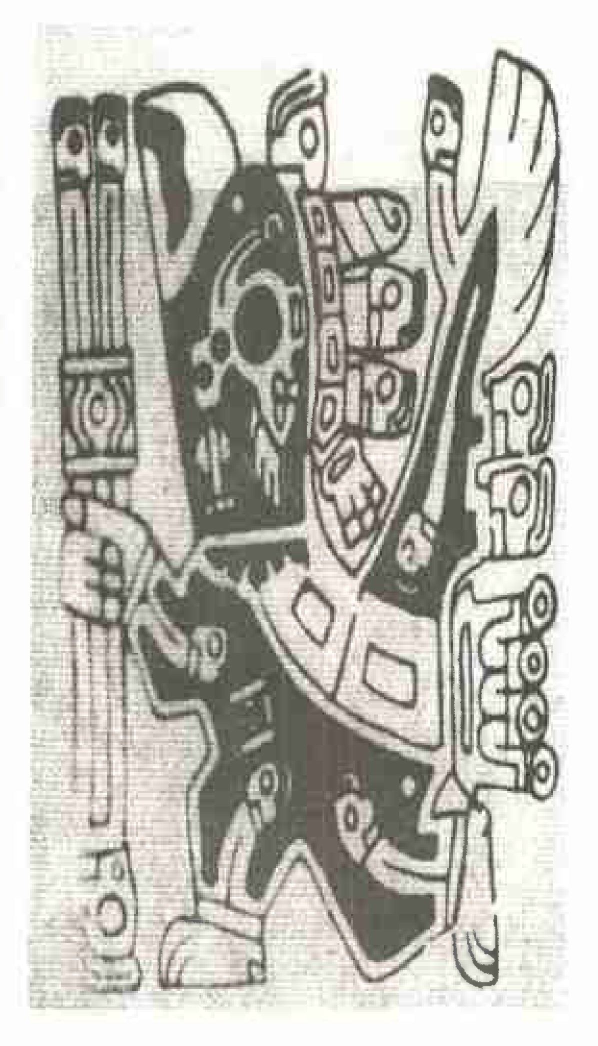




أظنُّ بعد هذه الصور فقد صرت مهيئًا تمامًا للاقتناع بكلام الأستاذ، فبوابة بهذا الحجم يمكن أن يُنقش عليها تاريخ العالم كله وليس مجرد بعض الآلات العلمية، والأناس الذين يرتدون الملابس الحديثة.

ولقد اختار لنا الأستاذ من هذه النقوش نقشين رأى أنهما يثبتان وجهة نظره، ويؤكدان ما قال، فهل أنت مستعدون لرؤية الصور؟

إليكم النقش الأول الذي اختاره الأستاذ



ربما كانت هذه صورة
لموتور نفاث أو لموتور
شمسى . لا أحد يعرف
ما الذى اراد ان يقول
لنا هؤلاء الذين نقشوا
بوابة الشمس .

بالطبع أنا لن أعلّق وأترك لكم الحكم.

النقش الثاني



نقش آخر يعيد لنا التفكير في معنى هذا الرسم وفي دلالة هذه الاجهزة الدقيقة التي في مؤخرته .

والآن بعد أن شاهدنا النقشين اللذين رأى الأستاذ أنهما أقوى نقشين في البوابة وأوضحهما واللذين يستحقان أن يضعهما كدليل لا يقبل الشكّ على كلامه، فلكم أن تتخيلوا بقية النقوش التي لم ينشر منها شيئًا.

الموت الازرق:

والآن ننتقل لشقٍّ آخر من أسلوب الأستاذ العزيز ألا وهو تزيف التاريخ. فالأستاذ الكبير في معرض حديثه لا يتوانى مُطلقًا عن تزييف حقائق التاريخ وقلب الحقائق المعلومة من أجل إثبات نظرياته. ولنأخذ أمثلة على ذلك:

ولا نزال نجهل تماماً كيف ظهرت الحضارة الفرعونية مكتملة ناضجة مرة واحدة هكذا . كأنها كانت فى مكان ما من العالم ، ثم نقلت وقامت .

وهذا من أكذب الكذب، وإن أحسنا الظن في الأستاذ فسنكتفي باقامه بالجهل التام بحقاق التاريخ. فهو يحاول إظهار الفراعنة وإن لم يصرح بذلك ككائنات فضائية، هبطت على الأرض بكامل حضارقا، وأن التاريخ لم يرصد لنا أي تطور تاريخي للحضارة الفرعونية، بل هي بدأت مرة واحدة هكذا.

وهذا - كما قلتُ - كلام لا يصدر إلا من كاذب أو جاهل، والأستاذ لا يُعذر بجهله (إن كان جاهلًا)، فهو كاتب ذائع الصيت وله قُراء كثيرون، فلا أقلّ من أن يتحرّى الحقيقة فيما يكتُب.

وأقل ما يمكن أن نردَّ به على هذه التُرهات هو أن الحقيقة التاريخية غير ذلك تمامًا، بل علماء التاريخ والحفريات يثبتون عكس ذلك، ولديهم من الدلائل الأثرية والحفرية ما يُثبت أن الحضارة في مصر قد تطوَّرت بطريقة طبيعية جدًّا منذ استيطان الإنسان للوادي وتركه للهِضاب والمرتفعات مرورًا بالعصور الحجرية، وعصر اكتشاف المعادن وبدء المدنية وحتى تكوين الدولتين الشمالية والجنوبية، ثم التوحيد وبداية عهد الأُسر وتاريخ الدولة القديمة والثورة الاجتماعية ثم العصر الوسيط المُسمَّى بالعصر الذهبي ومرورًا بغزو الهكسوس، ثم عصر الدولة الحديثة نهاية بسقوط مصر تحت الاحتلال الروماني **31** ق.م.

ويمكن لمن يريد التأكُّد مُراجعة الموسوعات التاريخية في هذا المجال، مثل موسوعة مصر القديمة للدكتور سليم حسن رحمه الله، فلقد خصص جزءاً كاملًا عن تاريخ المدنية المصرية في عهود ما قبل الأسر في ضوء المُكتشفات.

ومثال آخر.

ويقال أيضاً أن أهل أطلانطس هاجروا إلى الشرق على أثر النكبة التى حلت بهم . ويقال ان بعضهم كان ذا سلطان وأنه كان ملكاً على الشعوب الشرقية . ويقال فى مصر . وهذا هو معنى اللون الأزرق الذى وجدناه لرسومات الملوك والنبلاء فى التاريخ الفرعونى .

والآن هل هذا حقيقي؟

هل بالفعل الملوك والنبلاء الذين وصلتنا صورهم كلهم أو على الأقل أكثرهم يحملون وجوهًا زرقاء؟

عندما حاولت توثيق هذه المسألة صدقوني لم تصادفني صورة واحدة في بردية أو جدارية أو تمثال لها ذلك اللون الأزرق، وإن كان منكم مَنْ قد رأى هذا فليُجبْني رجاءً.

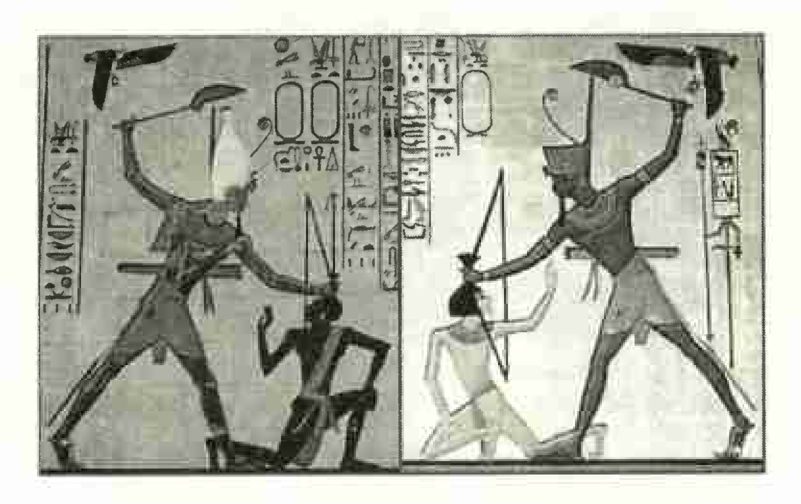
ولكن على الأقل فهذا يعني إن كلام الأستاذ عارٍ تماما من الصحة، بل هو إلى التزييف أقرب.

وأنا وعدت أني لن أتكلم إلا بالدليل وإلا تساويتُ مع الأستاذ الذي أنتقده. وإليكم الأدلة:



هاه! هل رأيتم هذا الملك؟ هل لونه مخالف للمألوف؟

لنرَ غيره:



والآن ماذا عن التماثيل؟



وإليكم أيضًا:



***

. ويلاحظ أيضاً أن ارتفاع الهرم

إذا ضرب فى عدد أحجاره كانت هذه هى المسافة التى بين

الأرض والشمس . فارتفاع الهرم ١٤٨ مترا وعدد أحجاره

مليون ، والمسافة بين الأرض والشمس ١٤٨ مليون كيلو متر

فهو في معرض حديثه الخلاب يتفضّل بدسٍّ بعض التلفيقات التي ربما كانت من تأليفه شخصيًّا، وذلك ليجعل الموضوع ساخنًا، هل رأيتم المعلومة التي ذكره الأستاذ الكبير، لقد ذكر في هذه السطور القليلة ثلاث معلومات مهمة:

1- ارتفاع الهرم **148** مترًا.

2- عدد أحجار الهرم مليون حجر.

3- المسافة بين الأرض والشمس **148** مليون كيلومتر، أي ضرب ارتفاع الهرم في عدد أحجاره، فهل ما قال الأستاذ حقيقي فعلًا.

وأستطيع أن أقول بكل ثقة إن كل المعلومات الواردة في النص محض هُراء رُكّب في الموضوع لإضفاء الإثارة عليه. وإليكم الحقائق:

أولًا ارتفاع الهرم:

ارتفاع الهرم الفعلي في القديم كان **147** م وبفعل التآكل والتعرية وسقوط الكسوة الجيرية أصبح الارتفاع الحالي للهرم **137** م، وقد يبدو الفرق قليل مجرد متر واحد يعني مفيش مشكلة.

ولكن هذا المتر الواحد يعمل فرق مليون كيلومتر بعد الضرب في مليون. تذكر هذا جيدًا.

ثانيًا عدد أحجار الهرم:

الأستاذ أعلن أن عدد الأحجار مليون، والغريب أنه بذلك يكون قد ناقدَ نفسه، فهو بنفسه ذكرَ في موضع سابق أن عدد الأحجار **3** ملايين، وإليكم الدليل:

.. وعرفنا أن هرم الجيزة هو أعظم ألغاز الحضارة القديمة وأن العقل العظيم الذى أقام ثلاثة ملايين حجر لا ينفذ منها الماء ولا الهواء لا يمكن أن يجعلها مقبرة لملك .. وإنما ليودع فيها الكثير من الأسرار التى ما تزال تحير العلماء بأجهزتهم الحديثة ؟

هل لاحظتم التضارُب في كلام الأستاذ؟

وشهد شاهدٌ من أهلها، ولكن وبالرغم من ذلك فالرقم الحقيقي ليس مليونًا ولا **3** ملايين، بل هو **2.3** مليون حجر.

ثالثًا المسافة بين الأرض والشمس:

لقد أعلن الأستاذ الكبير أن المسافة بين الأرض والشمس هي **148** مليون كيلومتر.

وهذا ليس بصحيح بل المسافة الفعلية هي 149.600.000 كيلومتر وهو المعروف بالوحدة الفلكية، أي بفارق مليون وستمئة ألف كيلومتر عن رقم الأستاذ أنيس.

هل وضح التدليس؟

***

والآن لنتحدَّثْ عن بعض الأخطاء الساذجة التي وقع فيها الأستاذ الكبير في خِضم محاولاته لإقناعك بفكرته وإليك أمثلة على ذلك:

نعود إلى الكتب البرهمية القديمة .. نقرأ هذه العبارة التى أترجمها حرفيا . تقول العبارة : « ان أول كائنات هبطت على هذه الأرض من كوكب الزهرة كان فى سنة : ١٨٠٦١٧٨٤١ قبل ميلاد المسيح .وقدجاءوا إلى الأرض فى سفن لها لون السحاب وخفته . وأن الإمبراطور « تام » أحد ملوك الأسرة العاشرة فى الصين قد ركب هو وأفراد حاشيته إحدى هذه السفن وانتقلوا فى لمحة عين من أول البلاد إلى آخرها . ولم يصدقوا عيونهم ! ! » .

لاحظ أن ما بين القوسين هو ترجمة حرفية من النص البرهمي، ودور الأستاذ هو فقط الترجمة الحرفية.

هل لاحظتم شيئًا ما في هذا النص؟

هل تذكرون النكتة التي كنا نعرفها من صِغرنا عن عالم الآثار الذي اكتشف عُملةً مكتوبًا عليها صُكت هذه العملة في سنة 1500 قبل الميلاد.

العجيب أن الأستاذ قد وقع في هذا الخطأ الساذج الذي لا يقع فيه طفل صغير، وأُريد أن أؤكد كلامه الذي يقول فيه إن هذه ترجمة حرفية. فهل ذكرت كُتب البراهمة (القديمة) أن هناك أناسًا من كوكب الزهرة جاؤوا قبل ميلاد المسيح ب 180 مليون سنة، وما أدرى البراهمة أن هناك نبيًّا اسمه المسيح سيأتي في سنة كذا، وأنه يؤرخ بهذا الميلاد، فهل كان البراهمة يؤرخون بمولد المسيح قبل ميلاده، هذه والله أُعجوبة جديدة تستحقُّ أن يضمها الأستاذ إلى كتبه المليئة بمثل هذه (المعجزات).

نفس هذا الخطأ الساذج يقع فيه الأستاذ في موضع آخر وقصة أخرى.

ولكن شيئاً أعجب من ذلك حدث فى نهاية القرن الخامس عشر ، فقد عثروا بالقرب من روما على مقبرة . وفتحوا المقبرة . . وجدوا فيها جثة لفتاة جميلة . . الجثة سليمة .. الفتاةشقراء ذهبية الشعر .. عاريةاسترا حت على جانبها الأيسر . . لا تزال على شفتيها بقايا ابتسامة . . كأنها نائمة . . الفتاة قد وضعت فى حوض . . وفى الحوض بقايا سائل فى لون النبيذ . . ولم يعرف أحد نوع أو طبيعة هذا السائل . . وإلى جانب الفتاة مصباح مضىء . . ولم ينطفئ هذا المصباح إلا بعد أن ظلت المقبرة مفتوحة أكثر من ستة شهور . أما النقوش المكتوبة على الحوض الذى استلقت فيه الفتاة فتقول انها قد ماتت سعيدة راضية منذ ١٥٠٠ سنة ! ! هذه الفتاة اسمها توليا . وأبوها المفكر الرومانى المعروف شيشرون !

إذًا فالتابوت قد نُقش عليه أن هذه الفتاة ماتت منذ 1500 سنة (يا سلام).

يعني مَن وضعوا هذه الفتاة هنا كانوا يعرفون أن قبرها لن يُفتح قبل 1500 سنة، لذلك تركوا هذا النقش ليدل من سيفتحون القبر على تاريخ وفاة الوفاة (يا سيدي أعد).

ولكن بعيدًا عن هذه الأخطاء الساذجة دعونا نُناقش الأمور بعقلانية.

1- وضع الجثة التي أخبرنا بها الأستاذ يدلُّ على أن الرومان قد بلغوا شأوًا عظيمًا في فنِّ حفظ الجثث حتى أنهم تفوقوا على الفراعنة أنفسهم في هذا المجال، فشتان بين الحال التي نجد عليها مومياوات الفراعنة التي جفّت وتشقّق جبدها، وتغيّر لونها وتساقط شعرها من حالة جثة هذه الفتاة التي يصفها لنا الأستاذ كفتاةٍ نائمة لا جثة منذ 1500 سنة.

2- المادة التي تُشبه النبيذ التي يقول الأستاذ إن الفتاة كانت موضوعة فيها والتي تشبه إلى حدٍّ كبير مادة الفورماليين الطبية التي يستخدمها الأطباء في حفظ العينات والأنسجة حتى لا تتلف مما يُشير إلى حضارة مُتقدمة طبيًّا إلى درجة عالية.

3- المصباح الذي ظلّ مضيئًا 1500 سنة وكما هو واضح أنه لم يكن يستخدم وقودًا معروفًا كالزيت أو أي مشتقات بترولية أو غاز بل لا حتى الكهرباء، بل والعجب العُجاب أن هذا المصباح ظلّ مضيئًا 1500 سنة ومن المعروف أن أيَّ مصباح كهربي له عمر افتراضي من عدد ساعات

الشغل والإضاءة لا تتعدى في أحسن الأحوال 5000 ساعة، ولكن هذا المصباح العجيب ظلّ مضيئًا ألفًا سنةٍ وخمسمئة، وهذا إن دلّ فيدلُ على حضارة متطورة جدًّا في مجالات الطاقة والكهرباء وربما الطاقة النووية.

والآن دعونا نُلقِ عدة تساؤلات:

هل عُرف عن الرومان اهتمامهم بحفظ جثث الموتى؟

هل عُرف عن الرومان التقدُّم الكبير في المجالات الطبية؟

هل عُرف عن الرومان تقدُّمهم في مجالات الطاقة الكهربية أو النووية؟

والإجابة معروفة تمامًا.. لا.

أولًا لم يكن للرومان أي اهتمام بحفظ جثث الموتى بل كانوا في الغالب يحرقون أجساد الموتى.

ثانيًا لم يكن الطب علمًا مُتطورًا في ذلك العصر بل على العكس كان الطبيب لا يعرف عن المرض إلا أنه بسبب الأرواح الشريرة، ولا يعرفون من العلاج أكثر من التمائم والهمهمات السحرية.

ثالثًا لم يكن الرومان على دراية بأي مصدر من مصادر الطاقة أكثر مما كان معروفًا وقتها سواء كان الفحم أو الزيت، ولم يُؤثَر عنهم أي ابتكار في هذا المجال.

فهل كان شيشرون مختلفًا عن باقي أهل عصره؟

نحن نعلم كل شيء عن شيشرون منذ مولده وحتى موته، ولم يؤثر عنه أيُّ شيء عجيب، غير أنه كان فيلسوفًا رواقيًّا وخطيبًا مُفوَّهًا.

وتساؤلات أخرى:

أين هذا القبر؟

أين جثة الفتاة؟

أين هذا المصباح؟

ألا يزالون موجودين أم اندثروا منذ قرون؟

وإن كان، فهل لديك دليل مؤكَّد على قصتك أم أنها محض أساطير شعبية؟

***

المصادر والمراجع

1- قصة الحضارة ويل ديورانت

2- مصر القديمة سليم حسن

3- الموسوعة المصرية مجموعة من الباحثين.. وزارة الثقافة

4- الديانة المصرية القديمة أودلف إيرما

5- ديانة مصر القديمة ياروسلاف شيرني

6- معجم الحضارة المصرية القديمة

7- جيش قمبيز المفقود بول سوسمان

8- الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط

محمد علي الصلابي

10- الدولة العثمانية العليا محمد فريد بك المحامي

11- الذين هبطوا من السماء أنيس منصور

12- في عربات الآلهة اريش فون دانكن

13- رحلة كون – تيكي ثور هايردال

14- وصول العرب إلى أمريكا وخرائطهم لما قبل كولمبوس

فؤاد سيزكين

15- أيام مع هانيبال أحمد خالد توفيق

16- دائرة المعارف البريطانية إصدار 1964

17- دائرة المعارف البريطانية إصدار 1985

18- دائرة المعارف الأمريكية اصدار 1985

19- مجموعة من الأفلام الوثائقية من إنتاج BBC

20- الجزيرة الوثائقية

21- قناة التاريخ

22- (بئر كولا العميقة) (بئر الجحيم) موسوعة ويكبيديا

23- وثائقي – حقيقة أم خيال؟ (أصوات المعذبين في سيبريا)

http://www.youtube.com/watch?v=2qD0eWa8mtw

24- شرح تلفيق ملف صوت (أصوات من الجحيم)

http://www.youtube.com/watch?v=VWo6kTsoiv4

25- وثائقي – بوابات الجحيم Gates Of Hell

http://www.youtube.com/watch?v=IFhlsI3weQM

26- القران الكريم

27- الكتاب المقدس

طبعة دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط

28- أحجار على رقعة الشطرنج وليام جاي كار

29- اليهود وراء كل جريمة وليم جاي كار

30- اليهود والماسونية في الثورات والدساتير د. بهاء الأمير

31- الوحي ونقيضه بروتوكولات حكماء صهيون د . بهاء الأمير

32- بروتوكولات حكماء صهيون

ترجمة الأستاذ. محمد خليفة التونسي

33- الماسونية واليهود والتوراة د / نعمان عبد الرزاق السامرائي

34- الماسونية في العراء د / محمد علي الزعبي

35- أثر القوة الخفية للماسونية على المسلمين

محمد بن ناصر أبو حبيب

36- الماسونية سرطان الأمم الأستاذ / أبو إسلام أحمد عبد الله

37- الماسونية محمد السقا أميني

38- فرسان المعبد والماسونية د / هارون يحيى

39- الشفرات الماسونية في شيفرة دافنشي بحث : مجهول

40- شفرة دافنشي دان براون

41- الأزمان المظلمة د. طالب عمران

42- حكومة الظل د. منذر القباني

43- تاريخ موجز للزمن ستيفن هوكنج

44- النجم دكتور / محمد حسني مصطفى

45- الموسوعة الفلكية أ. فايجرت - ه. تسرمان

46- بعض المقالات عن النِّسبية.

47- مجموعة من المواقع الإلكترونية وصفحات الإنترنت

48- موسوعة الويكبيديا

***

الفهرس

